

# تَفْسِيرُ الْمُرْآغِي

تأليف

صاحب الفضيلة الأستاذ الكبير

أحمد مصطفى المرآغي  
أستاذ الشريعة الإسلامية واللغة العربية  
بكلية دارالعلوم سابقاً

الجزء الخامس والعشرون

الطبعة الأولى

١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م

---

حقوق الطبع محفوظة

## الجزء الخامس والمثرون

إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا  
وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِي  
قَالُوا آذْنَاكَ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ (٤٧) وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ  
وَوَضُّوا مَا لَهُمْ مِنْ حَيَصٍ (٤٨) .

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### شرح المفردات

الساعة : يوم القيامة ، الأكام : واحدها كِمٌّ (بالكسر) : وعاء الثمرة ؛ وقد يطلق على كل ظرف لمال أو غيره ، آذناك : أى أعلمناك ؛ يقال آذنه يؤاذنه أى أعلمه كما قال :

آذنتنا بيننا أسماء ربناو يُملّ منه الثواء

ضل عنهم : أى غاب وزال ، ظنوا : أى أيقنوا وعلموا ، حيص : أى مهرب ؛ يقال حاص يحيص حيصا : إذا هرب .

## المعنى الجملى

بعد أن هدد الكافرين بأن جزاء كل عامل سيصل إليه يوم القيامة كاملاً غير منقوص ، إن خيراً فخير وإن شراً فشر — أردف ذلك ببيان أن هذا اليوم لا سبيل للخلق إلى معرفته ، فلا يعلمه إلا هو ، وأن علم الحوادث المقبلة في أوقاتها المعينة مما استأثر الله به ، فلا يعلم أحد متى تخرج الثمر من الأكمام ، ولا متى تحمل المرأة ولا متى تضع . ثم ذكر أنه سبحانه يوم القيامة ينادى المشركين تهكماً وتقريعاً لهم : أين شركائى الذين كنتم تزعمون ؟ فيجيبون : الآن لا نشهد لأحد منهم بالشركة فى الألوهية ، وقد غابوا عنهم فلا يرجون منهم نفعاً ، ولا يفيدونهم خيراً ، وأيقنوا حينئذ أن لا مهرب لهم من العذاب .

روى أن المشركين قالوا يا محمد إن كنت نبيا فخيرنا متى تقوم الساعة فنزلت الآية :

## الإيضاح

( إليه يرد علم الساعة ) أى إذا سئل عنها أحد ردّ علمها إليه تعالى ، فإنه لا يعلم متى قيامها سواء ، وقد جاء فى الحديث « أن جبريل عليه السلام سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الساعة فقال : ما المسئول عنها بأعلم من السائل » .

ونحو الآية قوله تعالى : « إِلَى رَبِّكَ مُنتَهَاهَا » وقوله : « لَا يُحِطُّ بِهَا لَوْ قُتِبَتْهَا أَلَّا هُوَ » .

وبعد أن ذكر أنه استأثر بعلم الساعة بين أنه اختص أيضاً بعلم الغيب ومعرفة ما سيحدث فى مستأنف الأزمنة فقال :

( وما تخرج من ثمرات من أكمامها وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه ) أى وما تبرز الثمرة من وعائها الذى هى مغلقة به ، وما تحمل أنثى ولا تضع ولدها

إلا يعلم من الله ، فهو لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ، ونحو الآية قوله : « يَظُنُّ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيصُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ . عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ » .

وفي هذا دليل على أن المنجمين لا يمكنهم الجزم بشيء مما يقولون البتة ، وإنما غاية ادعاء ظن ضعيف قد يصيب وربما لا يصيب ، وعلم الله هو المقطوع به الذي لا يشركه فيه أحد .

ثم ذكر بعض ما يحدث في هذا اليوم فقال :

( ويوم يناديهم أين شركائي قالوا آذناك ما منا من شهيد ) أى واذا ذكر أيها الرسول لقومك يوم ينادى سبحانه عباده المشركين على رؤوس الأشهاد تهكما بهم واستهزاء بأمرهم — أين شركائي الذين عبدتمهم معي ؟ فيجيبون ويقولون : أعلناك أنه ليس أحد منا يشهد اليوم أن معك شريكا ، ونفى الشهادة يراد به التبرؤ منهم ، لأن الكفار يوم القيامة يشكرون عبادة غير الله كما حكى الله عنهم أنهم قالوا : « وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ » .

والخلاصة — إن قوله آذناك إخبار بإعلام سابق علمه الله من أحوالهم يوم القيامة وأنهم لم يبقوا على الشرك ، وعلى تلك الشهادة كأنهم يقولون أنت أعلم به ثم يأخذون في الجواب .

( وضل عنهم ما كانوا يدعون من قبل ) أى وغابت عنهم آلهتهم التي كانوا يعبدونها في الدنيا ، فأخذ بها طريق غير طريقهم فلم تنفعهم ولم تدفع عنهم شيئا من عذاب الله الذي حل بهم .

( وظنوا ما لهم من محيص ) أى وأيقنوا حينئذ أنه لا ملجأ لهم من عذاب الله .

لَا يَسْأَلُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَنْتَوِسُ قَنْوَطٌ (٤٩)  
وَلَنْ أَدْقِنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّتْهُ لِيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ  
السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى ، فَلْيُنَبِّئِنِ الَّذِينَ  
كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ (٥٠) وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى  
الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ (٥١) .

### شرح المفردات

لايسأل : أى لا يمل ، والخير : المال والصحة والعزة والسلطان ، والشر : الفقر  
والمرض ونحوهما ، واليأس : انقطاع الرجاء من حصول الخير ، والقنوط : ( بالفتح )  
من اتصف بالقنوط ( بالضم ) وهو ظهور أثر اليأس على الإنسان من المذلة والانكسار ،  
والرحمة هنا : الصحة وسعة العيش ، والضراء : المرض وضيق العيش ونحوهما ، هذا لى :  
أى هذا أستحقه لما لى من الفضل والعمل ، والحسنى : الكرامة ، والغليظ هنا :  
الكثير ، نأى بجانبه : أى تكبر واختال ، وعريض : أى كثير مستمر ؛ يقولون  
أطال فى الكلام ، وأعرض فى الدعاء : إذا أكثر .

### المعنى الجملى

بعد أن أبان سبحانه حال الكافرين فى الآخرة ، وذكر أنهم حينئذ يتبرءون  
من الشركاء بعد أن كانوا معترفين بهم فى الدنيا — أردف ذلك ببيان أن الإنسان  
متبدل الأحوال ، متغير الأطوار ، إن أحسن بخير وقدرة انتفخت أوداجه وصغر  
خديه ومشى الخيلاء ، وإن أصابته محنة وبلاء تظامن واستكان ويئس من الفرج ،  
وهذا دليل على شدة حرصه على الجمع ، وشدة جزعه من فقد ، إلى ما فيه من طيش  
يتولد عنه إعجابه واستكباره حين النعمة ، وتظامنه حين زوالها ، وذلك مما يومئ

بشغله بالنعمة عن المنعم فى حالى وجودها وفقدها ، أما فى حال وجودها فواضح ،  
وأما فى حال فقدتها فلأن التضرع جزاء إنما كان على الفقد الدال على الشغل عن  
المنعم بالنعمة .

## الإيضاح

( لايسأم الإنسان من دعاء الخير ) أى لا يمل الإنسان من دعائه ربه ومسألته  
إياه أن يؤتية صحة وعافية وسعة فى الرزق ، فهو مهما أوتى من المال فهو لا يقنع ، وقد  
جاء فى الأثر « منهومان لا يشبعان : طالب علم وطالب مال » وجاء أيضا « لو كان  
لابن آدم واديان من ذهب لمتنى لهما ثالثا » .

( وإن مسه الشرف فيثوس قنوط ) أى وإن أصابه بؤس وضيق فى المال أو ابتلى  
بمرض أنهك قواه واضمحل به جسمه - يئس من فضل الله ورحمته ، وظهر عليه  
سيمي الذل والانكسار والخنوع والخضوع .

وخلاصة ذلك — إن الإنسان متبدل الأحوال ، متغير الأطوار ، إن أحسن  
بغير بطر وتعظم ، وإن شعر ببؤس ذل وخضع ، فهو شديد الحرص على الجمع ، شديد  
الجزع على الفقد .

ثم ذكر حال هذا اليئوس القنوط فقال :

- ( ١ ) ( ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولنّ هذا لى ) أى ولئن  
كشفنا ما أصابه من سقم فى نفسه أو شدة وجهد فى معيشتة ، فوهبنا له العافية بعد  
السقم ، والغنى بعد الفقر - ليقولنّ هذا حق قد وصل إلى ، لأنى أستوجبه بما حصل لى  
من ضروب الفضائل وأعمال البر والقرب من الله ، لانتفضل منه على - أو لا يعلم أن  
هذه الفضائل لو وجدت فإنما هى بفضل الله وإحسانه ، وهو لا يستحق على الله شيئا ؟
- ( ٢ ) ( وما أظن الساعة قائمة ) أى وما أظن الساعة ستقوم ، فلا رجعة

لا حساب ولا عقاب على شيء من الآثام التي يقترفها الإنسان في دنياه ، ويحقرها مدى حياته الدنيوية .

وما تنتج هذا إلا من شدة رغبته في الدنيا ، وعظيم نفرتة من الآخرة ، فهو حين نظر إلى أحوال الدنيا يقول إنها لى وأنا جدير بها لما لى من فضل به استحققتها ، وحين ينظر إلى أحوال الآخرة يقول وما أظن الساعة قادمة .

(٣) (ولئن رجعت إلى ربى إن لى عنده للحسنى) أى وإن الغالب على ظنى ن لارجمة ولا بعث ولا قيامة ، ولئن كان البعث حقا فإن لى عنده لكرامة فى الآخرة ، فإن حالها كحال الدنيا ، فما استحققتة من النعم فيها سيكون لى مثله فى الآخرة .

وبعد أن حكى عنهم هذه الأقوال ذكر أنه سيظهر لهم أن الأمر بعكس ما يظنون ، وبضد ما يعتقدون فقال :

(فلننبئن الذين كفروا بما عملوا ولنذيقنهم من عذاب غليظ) أى فلنخبرن هؤلاء الكافرين يوم يرجعون إلينا بما عملوا من المعاصى ، واجترحوا من الآثام ، وما دسوا به أنفسهم من الخطايا ، ثم لنجازينهم عليها ، فيستبين لهم أنهم جديرون بالإهانة والاحتقار لا بالكرامة والإحسان ، ولنذيقنهم عذابا غليظا لا يمكنهم الفكاك منه وهو عذاب جهنم التى لاموت فيها ولا يجدون عنها حولا .

وبعد أن حكى أقوال الذى أنعم عليه بعد وقوعه فى الجهد الجهيد — حكى فعاله فقال :

(وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه) أى وإذا نحن أنعمنا عليه فكشفنا عنه المرض ووهبنا له صحة وعافية ورزقناه سعة العيش — أعرض عما دعونا به إليه من طاعتنا ، واستكبر عن الانقياد لأمرنا .

ثم ذكر أنه حين الضراء يكون على عكس هذا فيتضرع ويتهل إلى ربه فقال :  
(وإذا مسه الشر فذو دعاء عريض) أى وإذا أصابته شدة من فقر ومرض



ونحوها أطال الدعاء والتضرع إلى الله ، لعله يكشف عنه تلك العمة ، ويزيل عنه برحمته هاتيك ألمة .

ونحو الآية قوله : « وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ مَسَّهُ » الآية .

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنَ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ ، مَنْ أَضَلَّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ؟ (٥٢) سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ، أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٥٣) أَلَا إِنَّهُمْ فِي مَرِيةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ ، أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ (٥٤) .

### شرح المفردات

أرأيتم : أى أخبروني ، أضل : أى أكثر ضلالا وبعدا عن الحق ، والشقاق الخلاف ، والآفاق : النواحي من مشارق الأرض ومغاربها وشمالها وجنوبها واحدها أفق ( بضمتين و بضم فسكون ) وشهيد : أى شاهد على كل ما يفضله خلقه لا يعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض ، ومرية : أى شك ، من لقاء ربهم : أى من البعث بعد المات ، محيط : أى عالم بجميع الأشياء لا تنحى عليه خافية فى الأرض ولا فى السماء .

### المعنى الجملى

بعد أن أوعد على الشرك وهدد ، وحذر وأنذر ، وذكر أن المشركين ينكرون الشرك يوم القيامة ويتبرءون من الشركاء ويظهرون الذل والخضوع لاستيلاء الخوف عليهم لما يرون من شديد الأهوال ، وأردف هذا بذكر طبيعة الإنسان وأنه متبدل

لا يثبت على حال واحدة ، فإن أحس القوة تكبر وتعظم ، وإن شعر بالضعف أظهر المسكنة والمذلة — أعقب ذلك بلفت أنظار الطاعنين في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم إلى التأمل والتفكير فيما بين أيديهم من الدلائل ليرعوا عما هم فيه من الغي والضلال ، ويقروا بها ليتظاهر الأدلة عليها ، وعلى أن القرآن منزل من عند الله حقا ، وليعلموا أن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور .

### الإيضاح

( قل أرايتم إن كان من عند الله وكفرتم به من أضل ممن هو في شقاق بعيد؟ )  
 أي قل أيها الرسول لهؤلاء المكذبين بالقرآن الذي جتهدتم به من عند ربك :  
 أخبروني أيها القوم إن كان هذا الذي أنتم به تكذبون — من عند ربي ثم كفرتم به ، أفلا تكونون مفارقين للحق بعيدين من الصواب ؟

وقد كانوا كلما سمعوا القرآن أعرضوا عنه وبالنغص في النفرة منه ، حتى قالوا: قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ، فلفت أنظارهم إلى أنه يجب عليهم النظر والتأمل فيه ، فإن دل الدليل على صحته قبلوه ، وإن أُرشد إلى فساد تركوه ، أما قبل ذلك فلا إصرار على الإعراض والإنكار بعيدان عن الصواب وعما يحكم به العقل . فما أضلكم وأكثر عنادكم ومشافتكم للحق واتباعكم للهوى .

وخلاصة ذلك — قل لهم : من أشد ذهانا عن قصد السبيل ، وأسلك لغير طريق الصواب ، ممن هو في فراق لأمر الله وخلاف له ، وبعد عنه ؟  
 وبعد أن ذكر أدلة التوحيد والنبوة أجاب عن شبهات المشركين وتمويهات الضالين فقال :

( سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ) أي سنرى هؤلاء المشركين وقائعا بالبلاد المحيطة بمكة وبمكة بما أجريناه على يدي نبينا وعلى يدي خلفائه وأصحابه من الفتوح الدالة على قوة الإسلام وأهله ، وهن الباطل وحزبه

حتى يعلموا حقيقة ما أوحينا به إليك وأنه الحق الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وأن وعده صادق وأنه مظهر دينك على الأديان كلها .

والخلاصة — سنيسر لهم من الفتح ما لم يتيسر لأحد ممن قبلهم ، ونظهرهم على الجبابة والأكاسرة ، ونجرى على أيديهم من الأمور الخارجة عن المهود ، الخارقة للعادة ، فيستبين لهم أن هذا القرآن هو الحق ، ومن ثم نصر حامله ، وأظهرهم على أعدائهم فى قليل من الزمان .

ثم ونجهم على إنكارهم تحقق هذه الإراءة وحصولها فقال :  
( أولم يكف بربك أنه على كل شىء شهيد ؟ ) أى كفى بالله شهيدا على أفعال عباده وأقوالهم ، وهو يشهد بأن محمدا صادق فيما أخبر به عنه كما قال : « أَلَيْسَ اللَّهُ بِشَهِيدٍ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ » الآية ، وقوله : « قُلْ أَيْ شَيْءٌ أَكْبَرُ شَهَادَةً ؟ قُلِ اللَّهُ » .

وقصارى ذلك — ألم تكفهم هذه الدلائل الكثيرة التى أوضحها سبحانه فى هذه السورة وفى كل سور القرآن ، وفيها البيان الكافى لإثبات وحدانية الله وتنزيهه عن كل نقص ، وإثبات النبوة والبعث .

وبعد أن أقام الأدلة ، وأوضح الحجج حتى لم يبق بعدها مقال لمتعنت ولا جاحد — بين سبب عنادهم واستكبارهم فقال :

( ألا إنهم فى مرية من لقاء ربهم ) أى إنهم فى شك من البعث والجزاء ، واستبعادهم إحياء الموتى بعد تفرق أجزائهم ، وتبدد أعضائهم ، ومن ثم لا يلفتون إلى النظر فيما ينفعهم عند لقائه كالتفكر فى صدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وأن القرآن حق لا شك فيه .

ثم دفع مريتهم وشكهم فى البعث وإعادة ما تفرق واختلط مما يتوهم منه عدم إمكان تمييزه فقال :

( ألا إنه بكل شيء محيط ) أى إنه تعالى عليم بجمل الأشياء وتفاصيلها ، مقتدر عليها لا يفوته شيء منها ، فهو يعلم ما تفرق من أجزاء الأجسام ، ويقدر على إعادتها إلى أمكنتها ، ثم بعثها وحسابها ، لتستوفى جزاءها على ما قدمت من عمل .

### بجمل ما اشتملت عليه هذه السورة الكريمة

- ( ١ ) وصف الكتاب الكريم .
- ( ٢ ) إعراض المشركين عن تدبره .
- ( ٣ ) جزاء الكافرين وجزاء المؤمنين .
- ( ٤ ) إقامة الأدلة على الوحدانية .
- ( ٥ ) إنذار المشركين بأنه سيحل بهم ما حل بالأمم قبلهم .
- ( ٦ ) شهادة الأعضاء عند الحشر على أربابها .
- ( ٧ ) ما يفعله قرناء السوء من التضليل والصد عن سبيل الله .
- ( ٨ ) ما كان يفعله المشركون حين سماع القرآن .
- ( ٩ ) طلب المشركين إهانة من أضلّوهم انتقاماً منهم .
- ( ١٠ ) ما يلقيه المؤمنون من الكرامة يوم العرض والحساب .
- ( ١١ ) إعادة الأدلة على الوحدانية .
- ( ١٢ ) القرآن هداية ورحمة .
- ( ١٣ ) إحاطة علم الله وعظيم قدرته .
- ( ١٤ ) من طبع الإنسان التكبر عند الرخاء والتضرع وقت الشدة .
- ( ١٥ ) آيات الله فى الآفاق والأنفس الدالة على وحدانيته وقدرته .
- ( ١٦ ) شك المشركين فى البعث والنشور ثم الرد عليهم .

## سورة الشورى

هى مكية إلا الآيات ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ فمدنية .

وعدة آياتها ثلاث وخمسون ، نزلت بعد فصلت .

ومناسبتها لما قبلها — اشتغال كل منهما على ذكر القرآن ، ودفع مطاعن الكفار فيه ، وتسليمه للنبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمَّ (١) عَسَقَ (٢) كَذَلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ  
 اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٣) لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ  
 الْعَظِيمُ (٤) تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ  
 بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ ، أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ  
 الرَّحِيمُ (٥) وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيفٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ  
 عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ (٦) .

## شرح المفردات

حَمَّ عَسَقَ — تقدم أن قلنا إن الحروف المقطعة التى جاءت فى أوائل السور حروف تنبيه نحو ألا ويا ونحوهما ، يؤتى بها لإيقاظ السامع وتنبيهه إلى ما سيقى إليه من الأمور العظام المشتملة عليها هذه السورة ، وينطق بأسمائها هكذا ( حاميم . عين . سين . قاف . ) يتفطرن : أى يتشققن ، يسبحون : أى ينزهون الله عما لا يليق به ، والأولياء : الشركاء والأنداد ، حفيظ : أى رقيب على أحوالهم وأعمالهم ، بوكيل :

أى بموكول إليك أمورهم حتى تؤاخذهم بها ولا وكل إليك هدايتهم ، وإنما عليك البلاغ فحسب .

### المعنى الجملى

بين سبحانه أن ما جاء فى هذه السورة موافق لما فى تضاعيف الكتب المنزلة على سائر الرسل من الدعوة إلى التوحيد والإيمان باليوم الآخر والتزهيد فى جمع حطام الدنيا والترغيب فيما عند الله ، ثم ذكر أن ما فى السموات والأرض فهو ملكه وتحت قبضته وله التصرف فيه إيجاداً وإعداماً وتكويناً وإبطالاً ، وأن السموات والأرض على عظمهما تكاد تتشقق فرقا من هيئته وجلاله سبحانه ، وأن الملائكة ينزهونه عما لا يليق به من صفات النقص ، ويطلبون المغفرة لعباده المؤمنين ، ثم أردف هذا بتسليط الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه ليس بالرقيب على عبدة الأصنام والأوثان يستطيع أن يردمهم إلى سواء السبيل ، بل نيس عليه إلا البلاغ وعلينا حسابهم ، فلا يبيع نفسه عليهم حسرات ، إن الله عليم بما يصنعون .

### الإيضاح

( كذلك يوحى إليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم ) أى بمثل ما فى هذه السورة من الدعوة إلى التوحيد والنبوة والإيمان باليوم الآخر وتجميل النفس بفاضل الأخلاق وإبعادها عن رذائل الخلال والعمل على سعادة المرء والجمع يوحى إليك الله العزيز فى ملكه ، الغالب بقمه ، الحكيم بصنعه ، المصيب فى قوله وفعله ، كما أوحى إلى الأنبياء بمثله من قبلك .

وسياتى تفصيل هذا فى سورة « سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى » فقد ذكر فى أولها التوحيد ، وفى وسطها النبوة وفى آخرها المعاد . ثم قال : « إِنَّ هَذَا لَنَبِيٍّ مِّنَ الْأَوَّلِينَ . مُحَمَّدٌ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى » أى إن المقصود من إنزال جميع الكتب الإلهية

ليس إلا هذه المطالب الثلاثة العالية التى لاتتم السعادة إلا بها ، ولا الفوز بالنعيم فى الدارين إلا بسلوكها .

ثم بين عظمته وكبريائه وحكمته فقال :

( له ما فى السموات وما فى الأرض وهو العلى العظيم ) أى إن ما فى السموات والأرض تحت قبضته وفى ملكه وله التصرف فيه إيجادا وإعداما ، وهو المتعالى فوقه ، العظيم عن مماثلته ، ليس كمثله شئ ، وهو السميع البصير .

( تكاد السموات يتفطرن من فوقهن ) أى تكاد السموات يتشققن من هيبة من هو فوقهن بالألوهية والقهر ، والعظمة والقدرة .

وبعد أن بين كمال عظمته باستيلاء هيئته على الجسائيات ، انتقل إلى ذكر الروحانيات فقال :

( والملائكة يسبحون بحمد ربهم ) أى والملائكة ينزهون الله عن صفات النقص ويسمونهم بسمات الجلال والكمال ، شاكرين له على ما أنعم به عليهم من طاعته ، وسخرهم لعبادته .

ونحو الآية قوله : « لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ . يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ » .

( ويستغفرون لمن فى الأرض ) أى ويسألون ربهم المغفرة لذنوب من فى الأرض من أهل الإيمان به ، ويلهمونهم سبل الخير الموصلة إلى السعادة ، فمثلم مثل الضوء يعطى الحياة بحرارته ، ويعطى الهدى بنوره .

ونحو الآية قوله : « الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ » .

ثم بين سبحانه أن من شأنه المغفرة والرحمة لعباده فقال :  
(ألا إن الله هو الغفور الرحيم) فما من مخلوق إلا له حظ من رحمته ، وهو  
سبحانه ذو مغفرة للناس على ظلمهم .

وفي الآية إيماء إلى قبول استغفار الملائكة ، وهو يزيد على ما طلبوه من المغفرة ،  
الرحمة بهم ، وتأخير عقوبة الكافرين والمعصاة نوع من المغفرة والرحمة لعلهم يراعون  
عن غوايتهم ، ويشوبون إلى رشد ، وينيبون إلى ربهم .  
ثم أبان وظيفة الرسل فقال :

(والذين اتخذوا من دونه أولياء الله حفيظ عليهم وما أنت عليهم بوكيل) أى  
والمشركون الذين اتخذوا آلهة من الأصنام والأوثان يعبدونها — الله هو المراقب  
لأعمالهم ، المحصى لأفعالهم وأقوالهم ، المجازى لهم يوم القيامة على ما كانوا يفعلون ،  
ولست أنت أيها الرسول بالحفيظ عليهم ، إنما أنت نذير تبليغهم ما أرسلت به إليهم ،  
إن عليك إلا البلاغ وعلينا الحساب ، فلا تذهب نفسك عليهم حسرات فإنك لست  
بمدرك ما تريد من هدايتهم إلا إذا شاء ربك .

وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّنُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا  
وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجُمُعِ لِأَرْيَبَ فِيهِ ، فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ (٧)  
وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ  
وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (٨) .

### شرح المفردات

الإنذار : التخويف ، وأم القرى : مكة ، ويوم الجمع يوم القيامة ؛ سمي بذلك  
لاجتماع الخلائق فيه كما قال تعالى : « يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجُمُعِ » والفريق :  
الجماعة ، والسعير : النار المستمرة الموقدة .



## المعنى الجملى

بعد أن أبان فيما سلف أنه هو الرقيب على عباده المحصى لأعمالهم وأنه عليه السلام نذير فحسب ، وليس عليه إلا البلاغ — ذكر هنا أنه أنزل كتابه بلغة العرب ليفهمه قومه من أهل مكة وما حولها كما قال: « وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ » وينذرهم بأن يوم القيامة آت لا شك فيه وأن الناس إذ ذاك فريقان : فريق يدخل الجنة بما قدم من صالح الأعمال ، وفريق يدخل النار بما دسّى به نفسه من سيئ الفعل ، ثم ذكر أن حكمته اقتضت أن يكون الإيمان بالتكليف اختياراً ولم يشأ أن يكون قسراً وجبراً ، ولو شاء أن يكون كذلك لفعل ، فمن أخبت لله وأتاب وعمل صالحاً أفلح وفاز بالسعادة ، ومن عاث في الأرض فساداً ، واتجهت همته إلى ارتكاب الشرور والآثام خسر وباء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المهاد ، ولا يجد له من دون الله ولياً ولا نصيراً .

## الإيضاح

( وكذلك أوحينا إليك قرآننا عربياً لتنذر أمّ القرى ومن حولها ) أى ومثل ذلك الإيحاء البديع الواضح ، أوحينا إليك قرآننا عربياً بلسان قومك ، لاختفاء فيه عليك ولا عليهم ، ليفهموا ما فيه من حجج الله وذكره ولتنذر به أهل مكة وما حولها من البلاد ، كما أرسلنا كل رسول بلسان قومه .

وقصارى ذلك — إنا كما أوحينا إليك أنك لست بالحفيظ عليهم ولا بالوكيل ، أوحينا إليك قرآننا عربياً لتنذر أهل مكة وما حولها .

وخص هؤلاء بالذكر ، لأنهم أول من أُنذروا ، ولأنهم أقرب الناس إليه ، فلا دليل فيها على أنه أرسل إليهم خاصة ، كيف وقد جاء في آية أخرى « وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ » .

وهذا الإنذار يعرّض شئون الدنيا وشئون الآخرة ، ثم خص من بينها أمور الآخرة  
بيانا لعظيم أهوالها وشديد نكاتها فقال :

( وتذّر يوم الجمع لاريب فيه ) أى ولتنذر الخلائق كافة عقاب الله يوم جمعهم  
للعرض والحساب ، وهو يوم لا شك فيه ، لتظاهر الأدلة على تحققه عقلا ونقلا ،  
فالحكمة قاضية بجزاء الحسن على إحسانه ، ومعاقبة المصير على إساءته ، وذا فيه  
من نصوص قاطعة على وجوده لا تحتمل تأويلا ولا تفسيراً .

ثم ذكر عاقبة العرض والحساب فقال :

( فريق في الجنة وفريق في السعير ) أى إنهم بعد جمعهم وعرضهم للحساب  
يفرقون ، وفريق منهم يدخل الجنة لإيمانه بالله ورسوله وبما أحسن من عمل في دنياه  
استحق به الكرامة عند ربه ، والنعيم المقيم في جنته ، وفريق منهم في نار الله الموقدة  
المسعورة على أهلها ، وهم الذين كفروا بالله وخالفوا ما جاءهم به رسوله ، ففسدوا أنفسهم  
بما أساءوا إليها من شرور وآثام ، وبما عبدوه من أوثان وأصنام .

ونحو الآية قوله : « إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّمَن خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ، ذَلِكَ يَوْمٌ  
مَّجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ . وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ . يَوْمَ  
يَأْتُ لَاتَكَلُمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ ، فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ » .

ثم سلى رسوله عما كان يناله من الغم والهم بتولى قومه عنه وعدم استجابة  
دعوته ، وأعلمه أن أمور عباده بيده ، وأنه الهادى إلى الحق من يشاء ، والمضل من  
أراد فقال :

( ولو شاء الله لجمعهم أمة واحدة ولكن يدخل من يشاء في رحمته والظالمون  
ما لهم من ولى ولا نصير ) أى ولو شاء الله لجمع الجميع مؤمنين كما تريد وتحرص عليه ،  
ولكن حكمته اقتضت أن يكون بعضهم مؤمنين كما تحب ، وبعضهم كفارا  
وهم الذين اتخذوا من دون الله أولياء ؛ لأنه سبحانه شاء أن يكون الإيمان مبنيا على

التكليف والاختيار ، يدخل فيه المرم بمحض الرضا والتأمل فى الأدلة الموصلة إلى الهدى ، وبذلك يتم الفوز والسعادة فى الدارين ، وينفر منه من دس نفسه بإدران الشرك وركب رأسه وأطاع هواه فكان من الخاسرين .

ولو شاء لجعل الإيمان بالقسر والإلجاء فكان الناس جميعاً أمة واحدة ، ولكن له الحجة البالغة والمثل الأعلى لم يشأ ذلك ، فلا تأس على عدم إيمان قومك ، ولا تذهب نفسك عليهم حسرات كما قال : « فَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسِكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنَّ لَمْ يَأْمُرْنَا بِهِذَا الْحَدِيثِ أُسِفًا » وقد جاء هذا المعنى فى غير آية سلف كثير منها كقوله : « وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى » وقوله : « وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا » .

أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَإِنَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٩) وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ مُخَفٍّ إِلَيْ اللَّهِ ذَلِكَ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ (١٠) فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذَرُونَكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (١١) لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١٢) .

### شرح المفردات

الولى : الناصر والمعين ، أنيب : أى أرجع ، فاطر السموات والأرض : أى مبدعهما لا على مثال سابق ، من أنفسكم : أى من جنسكم ، يذرونكم : أى يكثركم

يقال ذرأ الله الخلق : بهم وكثرهم ، مقاليد : واحدها مقلاد أو مقليد أو إقليد ، وهو المفتاح ، يبسط : أى يوسع ، يقدر : أى يقترو ويضيق .

### المعنى الجملى

بعد أن ذكر أنهم اتخذوا من دون الله أولياء وأن الله وكيل عليهم ولست أيها الرسول بالحفيظ عليهم — طلب إليه هنا أن يدع الاهتمام بأمرهم ويقطع الطمع في إيمانهم ، مبينا أنهم اتخذوا من دون الله أولياء ، وهو سبحانه الولي حقا القادر على كل شيء ، فقد عدلوا عنه إلى ما لا نسبة بينه وبينهم بحال .

### الإيضاح

( أم اتخذوا من دونه أولياء فالله هو الولي وهو يحيى الموتى وهو على كل شيء قدير ) أى إن هؤلاء المشركين من قومك اتخذوا أولياء ينصرونهم من دون الله وقد ضلوا ضلالا بعيدا ، فهؤلاء لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا ، فإن أرادوا وليا بحق يدفع عنهم الملمات ، ويحلب لهم الخيرات ، فالله هو القادر على ذلك ، وهو الحي الموتى ويحشرهم يوم القيامة ، تخدير بمثله أن يتخذ وليا ، لامن لا يستطيع دفع الضر عن نفسه ولا جلب الخير لها .

ونحو الآية قوله : « إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ ، وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذَّابَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَفِيدُوا مِنْهُ » .

وبعد أن منع رسوله أن يحمل الكفار على الإيمان قسرا — منع المؤمنين أن يتنازعوا معهم في شأن من شؤون الدين فقال :

( وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله ) أى وما اختلف فيه العباد من أمر الدين فحكمه ورجعه إلى الله يحكم فيه يوم القيامة بحكمه ويفصل بين الحائضين ، وحينئذ يظهر الحق من المبطل ويتميز أهل الجنة وأهل النار .

وقد يكون المعنى — إن حكمه مردود إلى كتاب الله ، فقد اشتمل على الحكم بين عباده فيما فيه يختلفون ، فالآية عامة فى كل اختلاف يتعلق بأمر الدين وأنه مردود إلى كتاب الله .

ونحو الآية قوله : « فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ » .

وقد حكم سبحانه بأن الدين هو الإسلام وأن القرآن حق وأن المؤمنين فى الجنة والكافرين فى النار ، ولكن لما كان الكفار لا يذعنون بأن ذلك حق إلا فى الدار الآخرة وعدمه بذلك يوم القيامة .

نم أمره أن يقول لهم :

( ذلکم الله ربى عليه توكلت وإليه أنيب ) أى ذلکم الموصوف بهذه الصفات من الإحياء والإماتة والحكم بين المختلفين هو ربى وحده ، لا آلهتكم التى تدعون من دونه ، عليه توكلت فى دفع كيد الأعداء وفى جميع شئونى ، وإليه أرجع فى كل المهمات ، وإليه أتوب من الذنوب .

وفى هذا تعريض لهم بأن ما هم عليه من اتخاذ غير الله ولياً لا يجديهم نفعا ، ولا يدفع عنهم ضرا ، فالأجدر بهم أن يقلعوا عنه ، إذ من شأن العاقل ألا يفعل إلا ما يفيد فى دين أو دنيا .

نم بين الأسباب التى حملته على أن يلتجئ إليه وجعلته الحقيق بذلك فقال :

( فاطر السموات والأرض ) أى إنه الجدير بأن يعتمد عليه ويستعان به ، لأنه خالق العوالم جميعا علويها وسفليها على عظمتها التى ترونها ، لا آلهتكم التى لا تستطيع أن تحقق شيئا .

نم بين بعض ما خلقه وأنعم به فقال :

( جعل لکم من أنفسکم أزواجا ومن الأنعام أزواجا يذروكم فيه ) أى ومن حكمته لبقاء العمران فى هذه الحياة إلى الأجل الذى حدده فى علمه — أن خلق لکم

من جنسكم زوجات لتتوالدوا ويكثر النسل ويستمر بقاء هذا النوع ، وجعل للأنعام مثل هذا ، وبذا تنتظم شؤون الحياة لهذا الخليفة الذى جعله الله فى الأرض ، وتقضى مآربه الدنيوية من مأكل ومشروب ، وتستمر نفعيته على أتم النظم وأكمل الوجوه ، فيشكر ربه على ما أولى ، ويعبده على ما أنعم ، فيفوز بالسعادة فى الحياة الآخرة كما فاز بها فى الدنيا .

وقوله «فيه» أى فى هذا التدبير وهو التزويج ، فهو سبحانه جعل الناس والأنعام أزواجا ليكون بين ذكورهم وإناثهم التوالد والتناسل ، فيكون هذا التدبير كالمنبع والمعدن لهذا التكثير فى النسل .

وبعد أن ذكر بعض صنعه الدال على عظمته أرشد إلى بعض صفاته العظيمة فقال :

(١) ( ليس كمثله شيء ) أى ليس كخالق الأزواج شيء يزوجه لأنه الفرد الصمد ، وقد يكون المعنى ليس مثله شيء فى شئونه التى يدبرها بمقتضى قدرته الشاملة وعلمه الواسع ، وحكمته الكاملة ، ومن ثم جعل هذا التدبير المحكم لإحاطة علمه بكل شئ .

(٢) ( وهو السميع البصير ) أى وهو السميع لما ينطق به خلقه من قول ، البصير بأعمالهم لا يخفى عليه شيء مما كسبت أيديهم من خير أو شر .

(٣) ( له مقاليد السموات والأرض ) أى له تعالى مفاتيح خزائن السموات والأرض ، فيبده مقاليد الخير والشر ، فما يفتح من رحمة فلا يمسك لها ، وما يمسك منها فلا يرسل له من بعده ، وقد بين هذا بقوله :

( يسطر الرزق لمن يشاء ويقدر ) أى يوسع رزقه وفضله على من يشاء من خلقه ويقتصر على من يريد ، على حسب السنن والنواميس التى وضعها بين عباده فى هذه الحياة .

ثم ذكر سبب هذا البسط والتقتير فقال :  
 (إنه بكل شيء عليم) أى إنه تعالى عليم بكل ما يفعله من توسعة على من يوسع  
 ويقتير على من يقتير ، ومن الذى يصلحه البسط فى الرزق ، ومن الذى يفسده ، ومن  
 الذى يصلحه التقتير ومن الذى يفسده ، لا يخفى عليه شيء من ذلك ، فيفعل كل ذلك  
 على مقتضى حكمته الكاملة ، وقدرته الواسعة ، وعلمه المحيط .

شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ  
 وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ،  
 كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ، اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي  
 إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ (١٣) وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَقِيَّتِهِمْ  
 وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لَفُضِّىَ بَيْنَهُمْ ، وَإِنَّ  
 الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَنَنْشُكُّ مِنْهُ مُرَيْبًا (١٤) .

### شرح المفردات

أقيموا الدين : أى حافظوا عليه ولا تخلّوا بشيء من مقوماته ؛ والمراد بالدين  
 دين الإسلام وهو توحيد الله وطاعته والإيمان برسوله واليوم الآخر وسائر ما يكون به  
 العبد مؤمنا ، ولا تتفرقوا فيه : أى لا تختلفوا فيه فتأتوا ببعض وتركوا بعضا ، كبر :  
 أى عظم وشق عليهم ، يجتبى : أى يصطفى ، ينيب : أى يرجع ، والبغى : الظلم  
 ومجاوزة الحد فى كل شيء ، لقضى بينهم : أى باستئصال المبطلين حين تفرقوا .

### المعنى الجملى

بعد أن عظم وحيه إلى رسوله صلى الله عليه وسلم وأبان ماله من كبير الحظ  
 حين نسبه إليه تعالى وأنه صادر من عزيز حكيم لا يوحى إلا بما فيه مصلحة البشر

ومنفعتهم في دينهم ودنياهم — ذكر هنا تفصيل هذا الوحي وأرشد إلى أنه هو الدين الذي وصى به أكابر الأنبياء وأصحاب الشرائع العظيمة والأتباع الكثيرة؛ وأردف ذلك بأن المشركين يشقّ عليهم دعوتهم إلى التوحيد وترك الأنداد والأوثان، وأن الله يهدي من يشاء من عباده لهدى دينه، وأنهم ما خالفوا الحق إلا بعد إبلاغه إليهم وقيام الحجة عليهم، وأنه ما حملهم على ذلك إلا البغى والعدوان والحسد، وأنه لولا الكلمة السابقة من الله بإنظار المشركين بإقامة حسابهم إلى يوم المعاد لعجل لهم العقوبة في الدنيا، وأن من اعتنقوا الأديان من بعد الأجيال الأولى ليسوا على يقين من أمرهم وإيمانهم، وإنما هم مقلدون لأبائهم وأسلافهم بلا دليل ولا برهان، وهم في حيرة من أمرهم، وشك مريب، وشقاق بعيد.

### الإيضاح

(شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى) أى شرع لكم من الدين ما شرع لنوح ومن بعده من أرباب الشرائع وأولى العزم من الرسل وأمرهم به أمرا مؤكدا؛ وتخصيص هؤلاء الأنبياء بالذكر لعل شأنهم وعظيم شهرتهم، ولاستئالة قلوب الكفار إلى اتباعه، لاتفاق كلمة أكثرهم على نبوتهم، واختصاص اليهود بموسى عليه السلام والنصارى بعيسى عليه السلام — وإلا فكل نبي مأمور بما أمروا به من إقامة دين الإسلام وهو التوحيد، وما لا يختلف باختلاف الأمم وتبدل الأعصار من أصول الشرائع والأحكام كالإيمان بالله واليوم الآخر وملائكته واكتساب مكارم الأخلاق وفاضل الصفات.

وفي الآية إيماء إلى أن ما شرعه لهم فهو صادر عن كامل العلم والحكمة، وأنه دين قديم أجمع عليه الرسل، وما أوحاه إليه هو إما ما ذكر في صدر السورة، وفي قوله: (وكذلك أوحينا) الآية.



وإما ما يعنهما وغيرهما مما وقع فى سائر المواضع التى من جملتها قوله تعالى : « ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا » وقوله : « إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَىَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ » .

ثم فصل ما شرعه بقوله :

أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ( أى اجعلوا هذا الدين وهو دين التوحيد والإخلاص لله قائما دائما مستمرا ، واحفظوه من أن يقع فيه زيغ أو اضطراب ، ولا تتفرقوا فيه بأن تأتوا ببعض وتتركوا بعضا ، أو بأن يأتى بعض منكم بهذه الأصول التى شرعت لكم ويتركها بعض آخر .

والنهي إنما هو عن التفرق فى أصول الشرائع ، أما التفاصيل فلم يتحد فيها الأنبياء كما يشير إلى ذلك قوله تعالى : « لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا » .

والخلاصة — إننا شرعنا لكم ما شرعنا للأنبياء قبلكم ، ديننا واحدا فى الأصول وهى التوحيد والصلاة والزكاة والصيام والحج ، والتقرب بصلاح الأعمال والصدق والوفاء بالمهد وأداء الأمانة وصلة الرحم ، وحرمانا عليكم الزنا وإيذاء الخلق والاعتداء على الحيوان — فكل هذا قد اتحد فيه الرسل وإن اختلفوا فى تفاصيله .

( كبر على المشركين ما تدعوهم إليه ) أى شق على المشركين دعوتهم إلى التوحيد وترك عبادة الأصنام والأوثان وتقريرهم على ذلك لأنهم توارثوا ذلك كبرا عن كبر ونقلوه عن الآباء والأجداد كما حكى سبحانه عنهم بقوله : « إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ » .

وبعد أن أرشد المؤمنين إلى التمسك بالدين — ذكر أنه إنما هداهم إلى ذلك لأنه اصطفاهم من بين خلقه فقال :

( الله يحببى إليه من يشاء ويهذى إليه من ينيب ) أى الله يصطفى من يشاء من عباده ويقر بهم إليه تقرب الكرامة ، ويوفق للعمل بطاعته واتباع ما بعث به

نبيه عليه من الحق — من راجع التوبة من معاصيه ، وهذا كما روى في الخبر « من تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا ، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة » أى من أقبل إلى بطاعته أقبلت إليه بهدايتي وإرشادى بأن أشرح له صدره ، وأسهل له أمره . ثم أجاب عن سؤال قد يخطر بالبال ، لماذا صار الناس متفرقين في الدين مع أنهم أمروا بالأخذ به وعدم التفرق فيه فقال :

( وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ) أى وما تفرقت الأمم إلا من بعد ما علموا أن الفرقة ضلالة ، وقد فعلوا ذلك بغيا وطلبا للرياسة وللحمية الحمية الجاهلية التي جعلت كل طائفة تذهب مذهبا وتدعو إليه وتقبح ماسواه طلبا للأحدوثة بين الناس والسيطرة عليهم .

والخلاصة — إن الأمم قديمها وحديثها أمروا باتفاق الكلمة وإقامة الدين وبلغهم أنبياءهم ذلك ، وما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بذلك بغيا وحسدا ، وعنادا وحبا للرياسة ، فدعت كل طائفة إلى مذهب وأنكرت ما عداه .

ثم ذكر أن هؤلاء كانوا يستحقون العذاب المعجل على سوء أفعالهم ، ولكن حكمته تعالى اقتضت تأخيرهم ليوم معلوم فقال :

( ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم ) أى ولولا الكلمة السابقة من ربك بإظهار حسابهم وتأخيرهم إلى يوم المعاد لعجل لهم العقوبة في الدنيا سريعا بما دسوا به أنفسهم من كبير الآثام وقبيح المعاصي .

ثم ذكر أن تفرقهم في الدين باق في أعقابهم مضافا إليه الشك في كتابهم مع انتسابهم إليه فقال :

( وإن الذين أوتوا الكتاب من بعدهم لفي شك منه مريب ) أى وإن أهل الكتاب الذين كانوا في عهده صلى الله عليه وسلم وورثوا التوراة والإنجيل عن السابقين — لهم في شك من كتابهم إذ لم يؤمنوا به حق الإيمان ، فهم مقلدون

أسلافهم بلا حجة ولا برهان ، وهم فى حيرة من أمرهم ، وشك أقض مضاجعهم ، وأوقعهم فى اضطراب وقلق .

وقصارى ذلك — إنهم تفرقوا بعد العلم الذى حصل من النبى المبعوث إليهم المصدق لكتابتهم لكنهم شكوا فى كتابكم فلم يؤمنوا به ولم يعملوا بما فيه من أمر ونهى .

فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ، اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ، لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ ، لَاحِجَّةٌ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ، اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ (١٥) .

### شرح المفردات

ادع : أى إلى الائتلاف والاتفاق ، واستقم : أى اثبت على الدعاء كما أوحى إليك ، آمنت بما أنزل الله من كتاب : أى صدقت بجميع الكتب المنزلة ، لاحجة : أى لا احتجاج ولا خصومة .

### المعنى الجملى

بعد أن أمرهم فيما سلف بالوحدة فى الدين وعدم التفرق فيه ، وذكر أنهم قد تفرقوا فيه من بعد ما جاءهم العلم بغيا وحسدا وعنادا واستكبارا — أمر رسوله صلى الله عليه وسلم بالدعوة إلى الاتفاق على الملة الحنيفية والثبات عليها والدعوة إليها كما أمره الله وألا يتبع أهواءهم الباطلة ، ثم أمره بالإيمان بجميع الكتب السماوية وبالعدل بين الناس فيسوى بينهم وبين نفسه ، فلا يأمرهم بما لا يعمله أو يخالفهم

فيما نهاهم عنه ؛ ثم أردف ذلك ببيان أن إلههم جميعا واحد ، وأن كل امرئ مسئول عن عمله ، وأن الله يجمع الناس يوم القيامة ويحازيهم بأعمالهم .  
وقد اشتملت هذه الآية الكريمة على عشرة أوامرو نواه ، كل منها مستقل بذاته ودالّ على حكم برأسه ، ولا نظير لها في ذلك سوى آية الكرسي فهي عشرة فصول أيضا .

### الإيضاح

( فذلك فادع ) أى فلأجل ذلك التفرق ولما حدث بسببه من تشعب الكفر في الأمم السالفة شعبا — ادع إلى الاتفاق والاتلاف على الملة الحنيفية ملة إبراهيم .  
( واستقم كما أمرت ) أى واثبت أنت ومن اتبعك على عبادة الله كما أمركم .  
( ولا تتبع أهواءهم ) أى ولا تتبع أيها الرسول أهواء الذين شكوا في الحق الذى شرعه الله لكم ، من الذين أورثوا الكتاب من قبلكم فتنشكوا فيه كما شكوا .

( وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب ) أى وقل صدقت بجميع الكتب المنزلة على الأنبياء من التوراة والإنجيل والزبور وصحف إبراهيم ، لا أكذب بشيء منها .

وفى هذا تعريض بأهل الكتاب ، إذ صدقوا ببعض وكفروا ببعض ، وتأليف لقلوبهم إذ آمن بما آمنوا به .

( وأمرت لأعدل بينكم ) أى وأمرني الله بما أمرني به لأعدل بينكم في أحكام الله إذا ترافعتم إلىّ ولا أحيف عليكم بزيادة على ما شرعه أو نقصان منه ، ولأبلغ ما أمرني بتبليغه إليكم كما هو .

( الله ربنا وربكم ) أى الله هو المعبود بحق لا إله غيره ، فنحن نقرّ بذلك احتيارا ، وأنتم وإن لم تفعلوه فله يسجد من في السموات والأرض طوعا وجبرا .

(لنا أعمالنا ولكم أعمالكم) أى لنا أعمالنا لا يتخطانا جزاؤها ثوابا كان أو عقابا، ولكم أعمالكم لا نتفع بحسناتكم ولا تضرنا سيئاتكم .

ونحو الآية قوله : « وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلٍ وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ » .

(لا حجة بيننا وبينكم) أى لا خصومة بيننا ولا احتجاج ، فإن الحق قد وضع وليس للمحاجة مجال ، فما الخالف إلا معاند أو مكابر وسيأتى الوقت الذى يستبين فيه الحق ويتضح سبيل الرشاد وإلى ذلك أشار بقوله :

( الله يجمع بيننا ) أى الله يجمع بيننا يوم القيامة ، فيقضى بيننا بالحق فيما اختلفنا فيه .

ونحو الآية قوله : « قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ » .

( وإليه المصير ) أى وإليه المرجع والمعاد بعد ممانتنا يوم الحساب ، فيجازى كل نفس بما كسبت « كَمَنْ يَعْمَلُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ . وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ » .

وهذه الأوامر والنواهي وإن وجهت فى الظاهر إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فهى له ولأمته كما هى القاعدة : أمرُ النبی صلى الله عليه وسلم أمرُ أمته إلا إذا ورد دليل على التخصيص .

وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ (١٦) اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ (١٧)

يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ، وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ ، أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ (١٨) .

### شرح المفردات

يُحَاجُونَ فِي اللَّهِ : أى يُخَاصِمُونَ فِي دِينِهِ ، اسْتَجِيبَ لَهُ : أى اسْتَجَابَ النَّاسُ لِدِينِهِ وَدَخَلُوا فِيهِ لَوْضُوحِ حُجَّتِهِ ، دَاحِضَةٌ : أى زَائِفَةٌ بَاطِلَةٌ ، وَالْمِيزَانُ الْعَدْلُ بَيْنَ النَّاسِ ، يَدْرِيكَ : بَعْلَمَكَ ، السَّاعَةُ : الْقِيَامَةُ ، مُشْفِقُونَ : خَائِفُونَ مِنْهَا حَذَرُونَ مِنْ مَحْجَمِهَا ، الْحَقُّ : أى الْأَمْرُ الْحَقِيقُ السَّكَّانُ لِمَحَالَّةِ ، يُمَارُونَ : أى يُجَادِلُونَ ؛ وَأَصْلُهُ مِنْ مَرَّيْتُ النَّاقَةَ : أى مَسَحَتْ ضَرْعَهَا لِلْحَبِّ إِذْ كُلَّ مِنَ الْمُتَجَادِلِينَ يَسْتُخْرِجُ مَا عِنْدَ صَاحِبِهِ .

### المعنى الجملى

بعد أن ذكر فيما سلف أن لا محاجة بين المشركين والمؤمنين لوضوح الحجة ، بين هنا أن الذين يخاصمون في دين الله من بعد ما استجاب الناس له ودخلوا فيه أفواجا ، حججهم في الصرف عنه زائفة لا ينبغي النظر إليها وعليهم غضب من ربهم لمكابرتهم للحق بعد ظهوره ، ولهم عذاب شديد يوم القيامة .

روى أن اليهود قالوا للمؤمنين : إنكم تقولون إن الأخذ بالمتفق عليه أولى من الأخذ بالمتخلف فيه ، ونبوة موسى وتوراته مسلمة بيننا وبينكم ، ونبوة محمد ليست كذلك ، وإذا فالأخذ باليهودية أولى ، فدحض سبحانه هذه الحجة بأن الإيمان بموسى إنما وجب لظهور المعجزات على يديه دالة على صدقه ، وقد ظهرت المعجزات على يدى محمد واليهود قد شاهدوها فوجب الاعتراف بنبوته .

ثم أردف ذلك بتخويفهم بيوم القيامة حتى يستعدوا له ويتركوا الماراة بالباطل ، ثم ذكر أن المشركين يستعجلون به استهزاء وإنكارا لوجوده ، والمؤمنون خائفون

منه لعلهم بالجزاء حينئذ ، ثم أعقب ذلك بذكر أن المأارة فى الساعة ضلالٌ يَبِينُ  
لتظاهر الأدلة على حصولها لاحتالة .

## الإيضاح

(والذين يحاجون فى الله من بعد ما استجيب له حاجتهم داحضة عند ربهم  
وعليهم غضب ولهم عذاب شديد ) أى والذين يجادلون المؤمنين المستجيبين لله ورسوله  
ليصدومهم عما سلكوه من طريق الهدى — حاجتهم زائفة لاتقبل عند ربهم ، وعليهم  
غضب منه ، لأنهم ماروا فى الحق بعد ماتبين ، ولهم عذاب شديد يوم القيامة ،  
لتركهم الحق بعد أن وضحت محجته عنادا واستكبارا .

وقد سمي أباطيلهم التى لاينبغى التعويل عليها — أدلة مجازاة لهم على زعمهم  
حتى يعامدوا النظر فيها لعلهم يردعون عن غيهم ويشوبون إلى رشدهم .

(الله الذى أنزل الكتاب بالحق والميزان) أى الله أنزل كتبه على أنبيائه حاوية  
للحق الذى لاشبهة فيه ، بعيدة من الباطل الذى لاخير فيه ، وأنزل العدل ليقضى  
بين الناس بالإنصاف ، ويحكم بينهم بحكمه الذى أمر به فى كتابه .

ونحو الآية قوله : « لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ  
وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ » .

ثم رغب سبحانه فى الآخرة وزهد فى الدنيا فقال :

(وما يدريك لعل الساعة قريب ؟) أى وأى شئ يعلمك لعل الساعة التى  
تقوم فيها القيامة تكون قد أوفت ؟ فعليك أن تتبع الكتاب وتواظب على العدل  
بين الناس ، واعمل بما أمرت به قبل أن يفجأك اليوم الذى توزن فيه الأعمال  
ويوفى كل عامل جزاء عمله .

والمراد بذلك حث المؤمنين على اتباع نهج الشرع وترك مخالفته .

روى أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر الساعة وعنده قوم من المشركين فقالوا متى الساعة؟ استهزاء منهم بها ، وتكذيبا لحقيتها ، فأنزل الله الآية ، ويدل على ذلك قوله :

( يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها ) استعجال استهزاء وإنكار ، وكانوا يقولون متى هي ؟ ليتها قامت حتى يظهر لنا ، أنحن على الحق فنفوز بالنجاة ، أم محمد وأصحابه فنكون من الخاسرين ؟ .

وبعد أن بين حال المشركين في شأنها ذكر حال المؤمنين في أمرها فقال :  
( والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق ) أى والذين آمنوا خائفون منها وجلون من مجيئها ، لأنهم لا يدرون ما الله فاعل بهم ، وهم موقنون أنهم محاسبون ومجزيون على أعمالهم إن خيرا نخير وإن شرا فشر ، كما أنهم يعلمون علم اليقين أن مجيئها حق لا ريب فيه ، فهم يستعدون له ويعملون من أجله .  
ونحو الآية قوله : « وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ » .

روى « أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم بصوت جهورى وهو فى بعض أسفاره فقال يا محمد : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحو من صوته ( هاؤم ) فقال له متى الساعة ؟ فقال له : إنها كائنة فما أعددت لها ؟ فقال حب الله ورسوله ، فقال صلى الله عليه وسلم : أنت مع من أحببت . » .

ثم بين ضلال المارين فيها فقال :

( ألا إن الذين يمارون فى الساعة لى ضلال بعيد ) أى ألا إن الذين يجادلون فى وجودها ، ويدفعون وقوعها ، لى جور عن طريق الهدى ، وزيف عن سبيل الرشاد وبعد من الصواب . لأن الذى خلق السموات والأرض قادر على إحياء الموتى كما قال : « وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ » .



اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ (١٩) مَنْ  
كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ ، وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ  
الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ (٢٠) أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ  
شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ ، وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُضِيَ  
بَيْنَهُمْ ، وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢١) تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ  
بِمَا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ ، وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ  
الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ، ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ (٢٢) .

### الإيضاح

لطيف بعباده : أى هو برّ بهم يفيض عليهم من جوده وإحسانه ، حرث  
الآخرة: ثمرات أعمالها تشبها لها بالغلة الحاصلة من البذور، حرث الدنيا: لذاتها وطيباتها،  
شركاء : أى فى الكفر وهم الشياطين ، شرعوا لهم : أى زينوا لهم ، ما لم يأذن به  
الله : أى كالشرك وإنكار البعث والعمل للدنيا فحسب ، كلمة الفصل : هى القضاء  
والحكم السابق منه بالنظر إلى يوم القيامة ، الروضة : مستنقع الماء والخضرة ،  
وروضات الجنات : أطيب بقاعها وأزهرها .

### المعنى الجملى

بعد أن ذكر سبحانه فيما سبق أنه أنزل عليهم الكتاب المشتمل على الدلائل  
الموصلة إلى السعادة ، وأن التفرقين فى الدين استوجبوا شديد العذاب ، لكنه أخره  
إلى يوم معلوم — أرشد هنا إلى أن ذلك من لطف الله بعباده ، ولو شاء لجلهم  
فى عماية من أمرهم وتركهم فى ضلالهم يعمهون ، ولو شاء لعجل لهم العذاب . ثم بين

أن من يعمل للآخرة يرجو ثوابها بضاعف له فيها الجزاء إلى سبعمائة ضعف ، ومن يعمل للدنيا وجلب لذاتها يؤثمه ما يريد . وليس له في الآخرة نصيب من نعيمها ، ثم أعقب هذا بذكر ما وسوس به الشياطين للمشركين ، وزينت لهم به من الشرك بالله وإنكار البعث إلى نحو ذلك ، ثم بين أنهم كانوا يستحقون العذاب العاجل على ذلك ، لسكنه أجله لما سبق في علمه من إنظارهم إلى يوم معلوم ، ثم ذكر مآل كل من الكافرين والمؤمنين يوم القيامة ، فالأولون خائفون وجلون من جزاء ما عملوا ، والآخرين مترفون منعمون .

### الإيضاح

( الله لطيف بعباده يرزق من يشاء ) أى إنه تعالى برّ بعباده يرسل إليهم أعظم المنافع ويدفع عنهم أكبر البلاء ، فيرزق البر والفاجر لا ينسى أحدا منهم ويوسع الرزق على من يشاء منهم ويقتره على من يشاء ، ليمتحن الغنى بالفقر والفقر بالغنى ، واحتاج بعض إلى بعض كما قال : « لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا » . ونحو الآية قوله : « وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا » . ثم ذكر ما هو كالعلة لذلك فقال :

( وهو القوى العزيز ) أى وهو القادر على ما يشاء ، العزيز الذى لا يقدر أحد أن يمتعه عن شيء مما يريد .

وبعد أن أبان أن الرزق ليس إلا فى يده أتبعه بما يزهد فى التكالب على طلب رزق البدن ويرغب فى الجدد فى طلب رزق الروح والسعى فى رفع منزلتها عند ربها ابرضى عنها فقال :

( من كان يريد حرث الآخرة نزدله فى حرثه ) أى من كان يريد بأعماله وكسبه ثواب الآخرة نوقفه لصالح الأعمال ونجزه بالحسنة عشر أمثالها إلى ما شاء الله .

(ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له فى الآخرة من نصيب) أى ومن كان سعيه موجها إلى شؤون الدنيا وطلب طيباتها واكتساب لذاتها، وليس له هم فى أعمال الآخرة — نؤته منها ما قسمناه له، وليس له فى ثواب الآخرة حظ، فالأعمال بالنيات، ولكل امرئ ما نوى، قال قتادة: إن الله يعطى على نية الآخرة ما شاء من أمر الدنيا، ولا يعطى على نية الدنيا إلا الدنيا.

ونحو الآية قوله: «مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَفْضُلُهَا مَذْمُومًا مَذْخُورًا. وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا».

وقال ابن عباس: من يؤثر دنياه على آخرته لم يجعل الله له نصيبا فى الآخرة إلا النار، ولم يزد بذلك من الدنيا شيئا إلا رزقا فرغ منه وقسم له.

وأخرج أحمد والحاكم وصححه وابن مردويه وابن حبان عن أبى بن كعب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «بشر هذه الأمة بالسوء والرفعة والنصر والتمكين فى الأرض ما لم يطلبوا الدنيا بعمل الآخرة، فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا لم يكن له فى الآخرة من نصيب».

وأخرج الحاكم وصححه والبيهقى عن أبى هريرة قال: «تلا رسول الله (مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ) الآية ثم قال يقول الله: ابن آدم تفرغ لعبادتي أملأ صدرك غنى وأسد قفرك، وإلا تفعل ملأت صدرك شغلا ولم أسد قفرك». وعن أبى كرم الله وجهه قال: الحرث حرثان: لحرث الدنيا المال والبنون، وحرث الآخرة الباقيات الصالحات.

ولما بين القسطاس الأفوم فى أعمال الآخرة وأعمال الدنيا أردفه بالتنبيه إلى ما هو الأصل فى باب الضلالة والشقاوة فقال:

(أَمْ لَكُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ) أى هم ما اتبعوا

ما شرع الله من الدين القويم ، بل اتبعوا ما شرع لهم شياطينهم من الجن والإنس ، فحرموا عليهم ما حرموا من البحيرة والسائبة والوصيلة ، وحلوا لهم أكل الميتة والدم والقمار إلى نحو أولئك من الضلالات والجهالات التي كانوا قد اخترعوها في الجاهلية .

وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « رأيت عمرو ابن لُحَيٍّ بن قَمَعة يجر قُصْبَه - أمعاه - في الدار » لأنه أول من سب السواحب وحل قريشا على عبادة الأصنام ، وكان أحد ملوك خزاعة .

وقصارى ذلك — إن الشيطان زين لهم الشرك والمعاصي والشرائع المضلة وإنكار البعث والعمل للدنيا .

ثم بين أنه رحمة بعباده آخر عذاب المشركين ليوم معلوم ولم يجعله لهم فقال :  
( ولولا كلمة الفصل لقضى بينهم ) أى ولولا القضاء السابق منه تعالى بتأخير العذاب إلى يوم القيامة لموجلوا بالعذاب كما قال سبحانه : « بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ » .  
( وإن الظالمين لهم عذاب أليم ) أى وإن الظالمين أنفسهم بشرع ما لم يأذن به الله مما ابتدعوه من التحليل والتحريم — لهم عذاب شديد الإيلام في جهنم وبئس المصير .

ثم ذكر أحوال أهل العقاب وأهل الثواب يوم القيامة مبتدئا بالأوليين فقال :  
( ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا وهو واقع بهم ) أى ترى الظالمين خاتقين أشد الخوف مما كسبوا من السيئات وهو واقع بهم لا محالة أشفقوا أو لم يشفقوا .  
وذكر الآخرين بقوله :

( والذين آمنوا وعملوا الصالحات فى روضات الجنات ) أى والذين آمنوا بالله وأطاعوه فيما أمر به ونهى عنه — لهم فى الآخرة روضات الجنات متمتعين بحاسنها ولذاتها .

ثم بين ما يكون من النعيم فى تلك الروضات فقال :

( لهم ما يشاءون عند ربهم ) أى لهم ما يشاءون من فنون اللذات من مآكل ومشارب ومناظر مما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر .

وبعدئذ بين خطر ذلك الفوز الذى ينالونه تفضلا من ربهم ورحمة فقال :

( ذلك هو الفضل الكبير ) أى ذلك الذى أعطاهم ربهم من هذا النعيم وتلك الكرامة — هو الفضل الذى من به عليهم ، وهو الذى يفوق كل كرامة فى الدنيا من بعض أهلها على بعض .

ذَلِكَ الَّذِى يُبَشِّرُ اللَّهَ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ، قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ، وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا ، إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ (٢٣) أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشِإِ اللَّهُ يُخَيِّتْ عَلَى قَلْبِكَ وَيَنْحِ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٢٤) وَهُوَ الَّذِى يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ (٢٥) وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ (٢٦) .

### شرح المفردات

البشارة : الإخبار بحصول ما يسرّ فى المستقبل ، والقربى : التقرب ، يقترب : أى يكتسب ، يختم على قلبك : أى يحمل قلبك من الختم عليهم حتى تخرجهم

على الافتراء ، يمحوا : أى يزيل ، يحق : أى يثبت ، وكلماته : هى حججه وأدلته ، يستجيب الذين آمنوا : أى يجيب دعاءهم .

### المعنى الجملى

بعد أن ذكر فى الآيات السالفة أن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يتمتعون بالنعيم فى روضات الجنات ، وأنه يعطيهم من فضله ما فيه قُرّة أعينهم رحمة من لدنه — ذكر هنا أن ذلك كائن لهم لاحالة بيشارة منه لهم ، ثم أعقب هذا بأن أمر رسوله أن يقول لهم : إنه لا يسألهم على هذا البلاغ والنصح أجرا ، وإنما يطلب منهم التقرب إلى الله وحسن طاعته ، ثم رد عليهم قولهم : إن القرآن مفترى بأنه لا يفتري الكذب على الله إلا من كان مختوما على قلبه ، ومن سنن الله إبطال الباطل ونصرة الحق ، فلو كان محمد كذابا مفتريا فمضحه وكشف باطله ، ولكن أيده بالنصرة والقرّة ، ثم ندبهم إلى التوبة مما نسبوه إلى رسوله من افتراءه للقرآن ، ثم وعد المؤمنين بأنه يجيب دعاءهم إذا هم دعوه ويزيدهم من نعمه ، وأوعد الكافرين بشديد العقاب كفاء ما اجترحوا من الشرور والآثام .

### الإيضاح

( ذلك الذى يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات ) أى هذا الذى أخبرتكم بأنى أعددت فى الآخرة من النعيم والكرامة لمن آمن بالله ورسوله وعمل صالح الأعمال — البشرى التى أبشركم بها فى الدنيا ليقبّلن لكم أنها حق وأنها كائنة لاحالة .

والخلاصة — إن هؤلاء الجامعين بين الإيمان والعمل بما أمر الله به وترك ما نهى عنه — هم المبشرون بتلك البشارة .

وبعد أن ذكر سبحانه ما أخبر به نبيه صلى الله عليه وسلم من هذه الأحكام التى اشتمل عليها كتابه — أمره أن يخبرهم بأنه لا يطلب منهم بسبب هذا التبليغ أجراً فقال :

( قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة فى القربى ) أى قل لهم : لا أسألكم على تبليغ ما أبلغكم به من هذا الدين القويم نفعاً منكم فى دنياى ، لكن أسألكم أن تودوا الله ورسوله فى تقربكم إليه بالطاعة والعمل الصالح ، قاله الحسن البصرى ؛ ويدخل فى ذلك مودة النبى صلى الله عليه وسلم ومودة قرابته ومودة ذوى القربى من المسلمين ، فإن من تقرب إلى الله أحب رسوله وأكرم قرابة الرسول وأكرم قرابته هو من المسلمين .

وقال ابن عباس : إلا أن تودونى فى نفسى لقرابتى وتحفظوا القرابة التى بينى وبينكم . وعن الشعبى قال : أكثر الناس علينا فى هذه الآية « قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فى الْقُرْبَى » فكتبنا إلى ابن عباس نسأله عن ذلك فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان واسط النسب فى قريش ، ليس بطن من بطونهم إلا وله فيه قرابة فقال الله : قل لا أسألكم الآية ، أى أن تودونى لقرابتى منكم وتحفظونى بها .

وروى عن ابن عباس قال : « قلت الأنصار فعلنا وفعلنا وكانهم نفروا ، فقال العباس لنا الفضل عليكم ، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتاهم فى مجالسهم فقال : يا معشر الأنصار ألم تكونوا أذلة فأعزكم الله ؟ قالوا بلى يا رسول الله ، قال أفلا تحييون ؟ قالوا ما نقول يا رسول الله ؟ قال ألا تقولون : ألم يخرجك قومك فآويناك ؟ ألم يكذبوك فصدقناك ؟ ألم يحذرك فنعصرك ؟ فما زال يقول حتى جثوا على الركب ، وقالوا أموالنا وما فى أيدينا لله ورسوله فنزلت هذه الآية » ، وعلى هذه الرواية فالآية مدنية ، والأصح أنها مكية .

(ومن يقترب حسنة نزدله فيها حسناً) أى ومن يعمل عملاً فيه طاعة لله ورسوله نزدله فيه أجراً وثواباً ، فنجد له مكان الحسنة عشرة أضعافها إلى سبعمائة ضعف إلى ما فوق ذلك فضلاً منا ورحمة .

ونحو الآية قوله : « إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ . وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا » .

(إن الله غفور شكور) أى إنه تعالى يغفر الكثير من السيئات ، ويكثر القليل من الحسنات ، فيستر ويغفر ويضاعف فيشكر ، قال قتادة : غفور للذنوب ، شكور للحسنات .

ثم أنكر عليهم نسبة افتراء القرآن إلى الرسول ووجههم على مقالهم فقال : ( أم يقولون افترى على الله كذباً ) أى أيقع في قلوبهم ويجرى على ألسنتهم أن ينسبوا مثله إلى الافتراء على الله وهو أقبح أنواع الفرية وأخشعها ؟

وهذا المقال منهم أظنع من الشرك الذى جعلوه شرعاً لهم ، فإنهم قد جعلوا الحق الأبلج الذى يعاضده الدليل ويؤيده البرهان — افتراء على الله واختلاقاً للكذب عليه — وفى ذلك أتم دلالة على بعده صلى الله عليه وسلم من الافتراء .

وخلاصة ذلك — إنهم قالوا إن هذا الذى يتلوه علينا من القرآن ما هو إلا اختلاق من قبل نفسه وليس بوحي من عند ربه كما يدعى .

ثم زاد فى استبعاد الافتراء من مثله عليه السلام والإنكار له على أتم وجه فقال : ( فإن يشأ الله يختم على قلبك ) أى فإن يشأ الله خذلك يختم على قلبك لتجتري بالافتراء عليه ، فإنه لا يفعل مثل هذا إلا من كان فى مثل حالهم قد ختم الله على قلبه وأعمى بصيرته .

والخلاصة — إنه إن يشأ يجعلك منهم ، لأنهم هم المفترون الذين شرعوا من الدين ما لم يأذن به الله .



وما أجل هذا التعريض بأنهم مفترون ، وأنهم فى نسبة الافتراء إليه مفترون أيضا ، وشبيهة بالآية قول أمين نسب إلى الخيانة : لعل الله خذلى ، لعل الله أعمى بصيرتى — لا يريد بمقاله إثبات الخذلان وعمى القلب ، بل يريد استبعاد الخيانة من مثله ، وأن من نسبه إلى ذلك فقد ركب شططا ، وأتى أمرا إدا ، وقال قولاً نُسكرا .  
ثم أكد استبعاد الافتراء منه وزاده إيضاحاً فقال :

(ويمحو الله الباطل ويحق الحق بكلماته) أى كيف يكون منه الافتراء على الله ، وقد جرت سنته تعالى أن يمحو الباطل ويمحقه ويثبت الحق وينشره بين الناس ، وها هو ذا يزداد ما أوتيه محمد كل يوم قوة وانتشاراً ، فلو كان مفترياً كما تدعون لكشف افتراءه ومحقه ، وقذف بالحق على باطله قدمغه .

وقد يكون المعنى — إن هذه عدة من الله لرسوله بالنصر ويكون المراد — يمحو الله باطلهم وما بهتوك به ويثبت الحق الذى أنت عليه بقضائه الذى لامرأله فيكون هذا كلاماً معترضاً بين ما قبله وما بعده مؤكداً لما سبق من الكلام من كونهم مبطلين فى نسبة الافتراء إلى من هو أصدق الناس حديثاً .

(إنه عليم بذات الصدور) فيعلم ما تكتم الضمائر ، وتنطوى عليه السرائر ، وتجرى الأمور على حسب علمه الواسع المحيط بكل شيء .

ثم امتن على عباده بقبول توبتهم إذا هم تابوا ورجعوا إليه فقال :  
(وهو الذى يقبل التوبة عن عباده) بالتجاوز عما فرط منهم من الذنوب ، واقتروا من السيئات .

والتوبة الندم على المعصية ، والإقلاع عنها ، والعزم على عدم العودة لها ، وهذه شروط ثلاثة فيما بين العبد وربّه ، فإذا أكملت صحت التوبة ، وإن فقد واحد منها لم تكن توبة صحيحة ، أما فيما يتعلق بحقوق العباد فيزداد على ذلك أن يبرأ من حق صاحبها .

ومن علامات التوبة النصوح — صدق العزيمة على ترك الذنب ، وألا يجد له حلاوة في قلبه عند ذكره .

وقد ورد في الحزب على التوبة كثير من الأحاديث في الصحيحين وغيرهما ، فمن ذلك :

(١) ما رواه أبو هريرة من قوله صلى الله عليه وسلم «لله أشد فرحا بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالته في مكان الذي يخاف أن يقتله فيه العطش» .

(٢) ما رواه جابر أن أعرابيا دخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : اللهم إني أستغفرك وأتوب إليك وكبر ، فلما فرغ من صلاته قال له على كرم الله وجهه : إن مرة اللسان بالاستغفار توبة الكذابين ، وتوبتك تحتاج إلى التوبة ، فقال : يا أمير المؤمنين ما التوبة ؟ قال التوبة اسم يقع على ستة معان : على الماضي من الذنوب الندامة ، ولتضييع الفرائض الإعادة ، ورد المظالم ، وإذابة النفس مرارة الطاعة كما أذقتها حلاوة المعصية ، وإذايتها في الطاعة كما ربيتها في المعصية ، والبكاء بدل كل ضحك ضحكته .

(ويعفو عن السيئات) أى يقبل التوبة في المستقبل ويعفو عن السيئات في الماضي .

(ويعلم ما تفعلون) أى ويعلم الذى تفعلونه كأننا ما كان خيرا أو شرا فيجازى بالثواب والعقاب ، أو يتجاوز بالعفو على حسب ما تقتضيه مشيئته البنية على الحكم والمصلح .

وفي هذا حث على لزوم الحذر منه تعالى والإخلاص له وإحاطة التوبة .  
(و يستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله) أى ويحبب الذين آمنوا إذا دعوه ، ويزيدهم من فضله على ما طلبوه بالدعاء .  
وبعد أن ذكر ما أعدّه للمؤمنين من الثواب أردف بما أعدّه للكافرين من العذاب فقال :

(والكافرون لهم عذاب شديد) أى والكافرون يوم القيامة لهم عذاب مؤلم موجه ، فالْمُؤْمِنُونَ قد تقبل دعاءهم وزادهم من فضله ، وهؤلاء لا يستجيب لهم دعاء « وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ » .

وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ مُنَزَّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ ، إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ (٢٧) وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ (٢٨) وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ (٢٩) وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ (٣٠) وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (٣١) وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ (٣٢) إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ ، إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (٣٣) أَوْ يُوقِعْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ (٣٤) وَيَعْلَمُ الَّذِينَ يُحَادِّثُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَخِصٍ (٣٥) .

### شرح المفردات

البسط : السعة ، والبغى : الظلم ومجاوزة الحد ، بقدر : أى بتقدير ؛ يقال قدره قدراً وقدراً إذا قدره ، والغيث : المطر ، وقط : ينس ، ورحمته : هى منافع الغيث وآثاره التى تعم الحيوان والنبات والسهل والجبل ، والنولى : هو الذى يتولى عباده

بالإحسان ، الحميد : أى المستحق للحمد على نعمه ، بث : نشر وفرّق ، والدابة : كل ماله ديب وحركة ، على جمعهم : أى حين الحشر والحساب ، بمعجزين : أى بجاعلين الله تعالى عاجزاً بالهرب منه ، والجوارى : أى السفن الجارية ، والأعلام : واحداً علم وهو الجبل : قالت الخنساء فى رثاء أخيها صخر :

وإن صخرأً لتأنم ألهداة به كأنه علم فى رأسه نار

يسكن الريح : أى يجعلها ساكنة لا تتوج ، رواكد : أى ثوابت ، والصبار : كثير الصبر وهو حبس النفس حين الشدائد عن الجزع وعن التوجه إلى من لا ينبغي التوجه له ، وشكور : أى كثير الشكر للنعم ، يوبقهن : أى يهلكهن ؛ يقال للجرم أوبقته ذنوبه : أى أهلكته ، محيص : أى مهرب ومخلص .

### المعنى الجملى

بعد أن بين سبحانه فيما سلف أنه يحيب دعاء المؤمنين إذا هم أنابوا إليه وأختبوا - ذكر هنا أنه لا يعطيهم كل ما يطلبون من الأرزاق ، بل ينزلها بقدر على حسب ما يعلم من مصالحهم ، فإن كثرة الرزق تجعل الناس يتجبرون ويتكبرون ، والله هو الخبير بما يصلح حالهم من فقر وغنى .

قال خبّاب بن الأرت : فينازلت هذه ، الآية نظرنا إلى أموال بنى قُريظة والنضير وبنى قَيْنُقَاع فتمنيناها .

ثم أعقب هذا بأنهم إذا احتاجوا إلى الرزق لا يتمه منهم وهو التولى أمورهم بإحسانه ، الحمود على ما يوصل للخلق من صنوف الرحمة ، ثم أقام الأدلة على ألوهيته بخلقه للسموات والأرض وما فيهما من الحيوان ، ثم جمعهم للحساب يوم القيامة ، ثم ذكر أن ما يصيب الإنسان من نكبات الدنيا من الأمراض والأقسام والفقر والغنى فبكسب الإنسان واختياره كما دلت على صدق ذلك التجارب ، ثم أعقب

ذلك بآية أخرى على ألوهيته وهى جريان السفن فى البحار ، فتارة يجعل الريح ساكنة فتظل السفن على سطحها ، وأخرى تعصف الرياح فتفرقها أو تنجس على حسب تقديره تعالى .

## الإيضاح

( ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الأرض ولكن ينزل بقدر ما يشاء إنه بعباده خبير بصير ) أى ولو أعطى عباده من الرزق فوق حاجتهم لمهلهم ذلك على البغى والظفان وطلب ما ليس لهم طلبه ، لأن الغنى مَبْطَرَةٌ مَأْشَرَةٌ ، وكفى بحال قارون وفرعون عبرة لمن اعتبر .

ولكن يرزقهم ما فيه صلاحهم وهو أعلم بحالهم ، فيغنى من يستحق الغنى ويفقر من يستحق الفقر على حسب ما يعلم من المصلحة فى ذلك كما ورد فى الأثر « إن من عبادى من لا يصلحه إلا الغنى ولو أفقرته لأفسدت عليه دينه ، وإن من عبادى من لا يصلحه إلا الفقر ، ولو أغنيته لأفسدت عليه دينه » .

والخلاصة — إنه تعالى خبير بما يصلح عباده من توسيع الرزق وتضييقه ، فيقدر لكل منهم ما يصلحه ، فيبسط ويقبض ، ويعطى ويمنع ، ولو أغناهم جميعا لبغوا ، ولو أفقرهم جميعا لهلكوا .

فنظام العالم لا يستقر إلا على هذا الوضع القائم الجامع بين الأمرين ، نخوف الأغنياء يرعهم عن الظلم ، وخوف الفقراء من الأغنياء يدعوهم إلى التعاون معهم ، ليفوزوا بمبتغاهم ويرعهم عن البغى .

عن أبى هانىء الخولانى قال : سمعت عمرو بن خُرَيْت وغيره يقولون : « إنما نزلت هذه الآية فى أهل الثُعَّة ، فإنهم قالوا لو أن لنا فتمنوا الدنيا » . رواه السيوطى بسند صحيح .

قال قتادة : كان يقال : خير الرزق ما لا يطغيك ولا يلهيك .

وبعد أن بين أنه لا يعطى عباده ما زاد على حاجتهم ، لأنه يعلم أن الزيادة تضرهم في دينهم — ذكر أنهم لو احتاجوا إلى الغيث فهو لا يمنعه عنهم فقل :  
( وهو الذى ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولى الحميد )  
أى وهو الذى ينزل المطر من السماء فيغيثهم به من بعد يأمرهم من نزوله حين حاجتهم إليه ، وينشر بركات الغيث ومنافعه وما يحصل به من الخصب ، وهو الذى يتولى عباده بإحسانه ويحمد على ما يوصله إليهم من رحمته .

قال قتادة : ذكر لنا أن رجلاً قال لعمر بن الخطاب رضى الله عنه : لحق المطر وقنط الناس يا أمير المؤمنين ، فقال عمر : مطرتم ثم قرأ الآية .

ثم أقام الأدلة على ألوهيته فقال :

( ومن آياته خلق السموات والأرض وما بث فيهما من دابة ) أى ومن دلائل عظمته وقدرته وسلطانه القاهر — خلق السموات والأرض وما نشر فيهما من دابة تدب وتتحرك ، وهذا يشمل الملائكة والإنس والجن وسائر الحيوان على اختلاف أشكالهم وألوانهم .

( وهو على جمعهم إذا يشاء قدير ) أى وهو يجمعهم يوم القيامة ، فيجمع الأولين والآخرين وسائر الخلائق فى صعيد واحد يسمعهم الداعى وينفذهم البصر ، ثم يحكم بينهم بحكمه العدل وهو اللطيف الخبير .

وقصارى ذلك — إنه قدير على جمع ما بث فيهما من دابة إذا شاء جمعه ، كما لم يتعذر عليه خلقه وتفريقه .

ثم ذكر دستور الناس فى أعمالهم إذا تأملوه أقنعوا عما يرتكبونه من الآثام فقال :  
( وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير ) أى وما يحل بكم أيها الناس من المصائب فى الدنيا ، فإنما تصابون به عقوبة لكم على ما اجتريتم

من الآثام ، واقترعتم من الشرور والمعاصى ، ويعفولكم عن كثير من جرائمكم فلا يعاقبكم بها .

فإن الله سبحانه جعل الذنوب أسبابا لها نتائجها ومسبباتها : فشارب الخمر يصاب بكثير من الأمراض الجسمية والعقلية فى الدنيا وهى أثر من آثار ما اجترح من الذنب . والتاجر غير الأمين أو الكذاب تصاب تجارته بالكساد ويشهر بين الناس بالخيانة فيحجمون عن معاملته . والحكام المرتشون الظلمة الذين يجمعون أموالهم بالسحت يصابون بالفقر والعُدم ويصبحون مثلاً بين الناس ، وإن لم يصبهم الفقر يصب أولادهم فيصبحوا بحال يرثى لها ويصيروا أحاديث الخاصة والعامة . والأمم الظلمة التى لاتناصر بين أفرادها ، بل بينها التقاطع ، ويزبذب بعض أفرادها أموال بعض آخر ، تصاب بالمهانة بعد العظمة والذلة بعد العزة ؛ وما الأمثال فى ذلك بعزيزة ، فهى ذى الأمم الشرقية إنما أصابها ما أصابها من الضعف والخلول والاضمحلال ثم الزوال من صفحة الوجود بما اجترحت من ظلم وإفساد فى الأرض ، وأكل بعضها أموال بعض واحتجان عظمائها الأموال فى خزانهم ، وابتزازها من أيدي الضعفاء ؛ وقد اقتصر الله لهم منهم فأضاع ملكهم وأذهب ربحهم وجعلهم لقمة سائغة للمستعمرين الذين تحكموا فيهم وجعلوهم كالعبيد يتصرفون فيهم على حسب أهوائهم وما تمليه عليهم مصالحهم وما يدرّ عليهم الخير لبلادهم وشعوبهم .

وفى هذا عبرة لمن اذّكر وقد تقدم أن قلنا فى غير موضع إن عقاب الأفراد فى الدنيا ليس بالمطرد ، إذ كثيرا ما نرى سكيرا عرّيبا لا يصاب بأذى مما يفعل ، ونرى تاجرا يخون الأمانة ولا يصاب بكساد فى تجارته ، وحينئذ يكون عقاب كل منهما مؤجلا ليوم الحساب إن شاء ربك عاقب ، وإن شاء عفا بعد التوبة عما فرط منهما من الذنوب والآثام .

أما عقاب الأمم على ما تجترح من السيئات فهو محقق فى الدنيا ولدينا عظة التاريخ فى القديم والحديث ، فما من أمة تركت أوامر دينها وخالفت نوااميس العمران ،

إلا زالت وصارت كأمس الدابر، وأصبحت عبرة للباقيين، ومثلاً للآخرين، فالرومان والفرس والعرب في الشرق وفي الأندلس والترك — مثل مائثة أمامنا تُجَلَّى لنا تلك القضية « فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ » .

ونحو الآية قوله تعالى: « وَلَوْ يُوَاقِدُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَاتَرَكَ عَلَى ظَهَرِهَا مِنْ ذَابَةٍ » وفي الحديث الصحيح « والذي نفسى بيده ما يصيب المؤمن من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن إلا كفر الله عنه بها من خطاياها حتى الشوكة يشاكها » . ولما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « والذي نفس محمد بيده ما من أحدش عود ولا اختلاج عرق ولا عثرة قدم إلا بذنب ، وما يغفو الله عنه أكثر » .

وروى الترمذى وجماعة عن علي كرم الله وجهه قال : « ألا أخبركم بأفضل آية في كتاب الله حدثنا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ( وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ ) قال وسأفسرها لك يا علي : ما أصابكم من مرض أو عقوبة أو بلاء في الدنيا فبما كسبت أيديكم ، والله أكرم من أن يثني عليكم العقوبة في الآخرة ، وما عفا الله تعالى عنه في الدنيا فله أكرم من أن يعود بعد عفو » والآثار في هذا الباب كثيرة .

والخلاصة — إنه يكفر عن العبد بما يصيبه من المصائب ، ويعفو عن كثير من الذنوب ؛ وقد ثبت بالأدلة الصحيحة أن جميع ما يصاب به الإنسان في الدنيا يؤثر عليه أو يكفر عنه من ذنوبه .

( وما أنتم بمعجزين في الأرض ) أى وإنكم لا تمجزون الله حيثما كنتم ، فلا تسبقونه بهر بكم منه في الأرض حتى لا تنالكم المصائب ، بل هي لاحقة بكم أينما تكونوا .

والخلاصة — إن ما قضاه الله عليكم واقع بكم لا محالة ولا مفر منه .



و بعد أن نفى المهرب مما قدّر نفى النصير والمعين الذى يمنع حلول المقدور فقال :  
( وما لكم من دون الله من ولّى ولا نصير ) أى وما لكم من دون الله ولّى  
يليك بالدفاع عنكم إذا أراد عقوبتكم على معصيتكم ، ولا لكم نصير ينصركم إذا  
هو عاقبكم ، فينتصر لكم ، فاحذروا معاصيه واتقوا مخالفة أمره ، فإنه لا دافع  
لعقوبته إذا أحلها بعبد من عباده .

ثم ذكر سبحانه آية أخرى من آيات عظمت الدالة على توحيده وصدق  
ما وعده فقال :

( ومن آياته الجوار فى البحر كالأعلام ) أى ومن دلائل قدرته وباهر حكته ،  
وعظيم سبطانه — تسخير البحر لتجرى فيه الفلك بأمره كالجبال الشاهقة ،  
والمدن العالية .

( إن يشأ يسكن الريح فيظلل رواء كد على ظهره ) أى إن يشأ الله الذى قد أجرى  
هذه السفن فى البحر ألا تجرى فيه ، أسكن الريح التى تجرى بها . فثبتت فى موضع  
واحد ووقفت على ظهر الماء لا تتقدم ولا تتأخر .  
ثم أتى بحملة معترضة بين ما مضى وما سيأتى فقال :

( إن فى ذلك لآيات لكل صبار شكور ) أى إن فى جري هذه الجوارى  
فى البحر بقدرته تعالى — حجة بينة على قدرته على ما يشاء ، لكل ذى صبر على  
طاعته ، شكور لنعمه وأياديه عنده .

والمؤمن إذا كان فى ضراء كان من الصابرين ، وإذا كان فى سراء كان من  
الشاكرين ، وقال عون بن عبد الله : فكم من منعمٍ عليه غير شاكر ، وكم من مبتلى  
غير صابر ، وقال قطرب : نعم العبد الصبار الشكور الذى إذا أعطى شكر ، وإذا  
ابتلى صبر . وقد قيل : الإيمان نصفه صبر ونصفه شكر .

( أو يؤبهن بما كسبوا ويعف عن كثير ) أى وإن يشأ يجعل الرياح عواصف  
فيغرق السفن بذنوب راكبيها ، ولكنه يعفو عن كثير من ذنوبهم ، ولو أخذهم  
بجميع ما يجترحون منها لأهلك كل من ركب البحر .

والخلاصة — إنه لو شاء أسكن الريح فوقفت السفن روا كد على ظهر البحر ، ولو شاء لأرسلها عاتية قوية فأخترتها عن سيرها ، وصرفت بها ذات اليمين وذات الشمال أبقة لا تسير على طريق ولا تصل إلى مقصد حتى تفرق ، ولكن من رحمته ولطفه يرسلها بقدر الحاجة لينتفع بها الملاحون لقضاء أوطارهم .

( ويعلم الذين يجادلون في آياتنا ما لهم من محيص ) أى وليعلم الذين ينازعون في آياتنا على جهة التكذيب لها أنه لاخلص لهم إذا وقفت السفن أو إذا عصفت الريح ، فيصير ذلك سبباً لاعترافهم بأن النافع الضار ليس إلا الله تعالى .

فَأَوْتَيْتُمْ مِنْ شَيْءٍ قَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى  
لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٣٦) وَالَّذِينَ يَحْتَبِمُونَ كِبَآئِرَ الْإِنِّمِ  
وَالْفَوَاحِشِ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ (٣٧) وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ  
وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْرَهُم شُورَى يَبْنِيهِمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٣٨)  
وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ (٣٩) .

### شرح المفردات

آتاه الشيء : أعطاه إياه ، والمتاع : ما ينتفع ويتمتع به من ريش وأثاث ونحوها ، يتوكلون : يفوضون إليه أمورهم ، كِبَآئِرُ الْإِنِّمِ : هى كل ما يوجب حذراً ، والفواحش : هى ما فحش وعظم قبحه كالزنا والقتل ونحوها ، واستجابوا : أى أجابوا داعى الله فأدوا فرائضه وتركوا نواهيهِ ، والشورى والمشاورة : المراجعة فى الآراء ليتبين الصواب منها ، والبغى : الظلم ، وينتصرون : أى ينتقمون .

## المعنى الجملى

بعد أن ذكر دلائل توحيده وعظيم قدرته وسلطانه بخلق السموات والأرض وجرى السفن ماخرات فى البحار — أردف ذلك بالتنفير من الدنيا وزخرفها ؛ لأن المانع من النظر فى الأدلة إنما هو الرغبة فيها طلبا للرياسة والجاه ، فإذا صغرت الدنيا فى عين المرء لم يلتفت إليها ، وانتفع بالأدلة ووجه النظر إلى ملكوت السموات والأرض ، ثم أبان أن ما عند الله خير لمن آمن وتوكل عليه واجتنب كبائر الذنوب والفواحش ، وكان منقادا له مطيعا لأوامره تاركا لنفواهيه وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يهرم أمرا إلا بعد مشورة وانتصر لنفسه ممن ظلمه .

## الإيضاح

( فما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا ) أى وكل ما تعطونه أيها الناس من الغنى والسعة فى الرزق والمال والبنين ، فهو متاع قليل تتمتعون به فى مدى قصير يذهب وينقضى ، والله در القائل :

إنما الدنيا فناء ليس للدنيا ثبوت

إنما الدنيا كيت نسجته العنكبوت

وفى هذا تحقير لشأن هذه الحياة وزينتها وما فيها من النعيم الزائل .

ثم رغبهم فى ثواب الآخرة وما عند الله من النعيم المقيم فقال :

( وما عند الله خير وأبقى ) أى وما عند الله من الثواب والنعيم خير من زهرة

الدنيا ، لأنه باقٍ سرمديّ ، وما فيها زائل فانٍ ، والعقل قاض بترجيح الباقي على الفانى .

ثم بين أنه لا يكون خيرا إلا لمن اتصف بصفات :

( ١ ) ( للذين آمنوا ) أى للذين صدقوا الله وآمنوا برسوله .

(٢) (وعلى ربهم يتوكلون) أى وعلى من ربّاهم على إحسانه يعتمدون ويفوضون إليه أمورهم ، ولا يلتفتون إلى غيره فى مهامّ أمورهم . روى أن الآية نزلت فى أبى بكر رضى الله عنه حين تصدق بماله فلامه المسلمون وخطأه الكافرون .

(٣) (والذين يمتنعون كبار الإثم والفواحش) أى والذين يتباعدون عن ارتكاب كبار الآثام كاتمّل والزنا والسرقه ، وعن الفواحش التى ينكرها الشرع والعقل والطبع السليم من قول أو فعل .

(٤) (وإذا ما غضبوا هم يغفرون) أى وإذا ما غضبوا كظموا غيظهم ، إذ من سجاياهم الصفح والعفو ، وليس من طبائعهم الانتقام ؛ وقد ثبت فى الصحيح « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما انتقم لنفسه قط إلا أن تُنتهك حرّمة الله » .

(٥) (والذين استجابوا لربهم) أى والذين أجابوا ربهم إلى مدعاهم إليه من توحيده والبراءة من عبادة كل ما يعبد من دونه .

(٦) (وأقاموا الصلاة) المفروضة فى أوقاتها على أكمل وجوها ، وخص الصلاة من بين أركان الدين ، لما لها من الخطر فى صفاء النفوس ، وتركيزة القلوب ، وترك الفواحش ما ظهر منها وما بطن .

(٧) (وأمرهم شورى بينهم) أى وإذا حزبهم أمر تشاوروا فيما بينهم ، ليقتلوه بحثا وتمحيصا ، ولا سيما الحروب ونحوها .

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشاور أصحابه فى الكثير من الأمور ، ولم يكن يشاورهم فى الأحكام ، لأنها منزلة من عند الله ، أما الصحابة فكانوا يتشاورون فيها ، ويستنبطونها من الكتاب والسنة . وأول ما تشاور فيه الصحابة الخلافة ، فإن النبى صلى الله عليه وسلم لم ينص عليها حتى انتهى أمرهم إلى تولية أبى بكر ، وتشاوروا فى قتال من ارتدوا بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم فاستقرّ رأى أبى بكر على القتال ، وقد كان فيه الخيرة للإسلام والمسلمين ، وشاور عمر رضى الله عنه الهزمّان حين وفد عليه مسلما .

ونحو الآية قوله : « وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ » وعن الحسن ما تشاور قوم إلا هُتوا لأرشد أمرهم . وقال ابن العربي : الشورى لغة للجماعة ، وصقال للعقول ، وسبب إلى الصواب ، وما تشاور قوم قط إلا هُتوا . ولأمر ما أصبحت الحكومات فى العصر الحاضر لا تبت فى مهام الأمور إلا إذا عرضت على مجالس الشورى ( البرلمان — مجلس الشيوخ والنواب ) وكأى بك قد سمعت قول بشار بن بُرْد فى قوائد الشورى :

إذا بلغ رأى الشورى فاستعن برأى لبيب أو مشورة حازم

ولا نجعل الشورى عليك غضاضة فريش الخوافى قوة للقوام

وما حير كف أمسك الغلّ أختها وما خير كف لم تؤيد بقاءم

( ٨ ) ( ويدا رزقناهم ينفقون ) أى وينفقون مما آتاهم ربهم فى سبل الخير ، والبذل

فما فيه منفعة للفرد والجموع ، ورفعة الأمة وعلو شأنها وعزها .

( ٩ ) ( والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون ) أى والذين إذا بغي عليهم باغ

ينتصرون ممن ظلمهم من غير تعدّ عليه .

والمؤمنون فريقان :

( أ ) فريق يعفوا اتباعا لقوله تعالى : « وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى » وقوله :

« خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ » وقوله : « وَإِنْ عَاقَبْتُمْ

فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَإِنَّ صَبرَكُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ » .

( ب ) فريق ينتصر ممن ظلمه وهو المذكور فى هذه الآية .

والخلاصة — إن العفو ضربان :

( ١ ) ضرب يكون فيه العفو سببا لتسكين الفتنة ، وتهدئة النفوس ، ومنع

استفحال الشر ، وهذا محمود وحث عليه الآيات الكريمة التى ذكرت آنفا .

( ٢ ) ضرب يكون فيه العفو سببا لجراءة الظالم وتماديه فى غيّه ، وهذا مذموم

وعليه تحمل الآية التى نحن بصدد تفسيرها .

فالعفو عن العاجز المعترف بجُرمه محمود ، والانتصار من الخاصم المصّر على جُرمه  
والتماهى فى غيّه محمود ، وإلى هذا أشار المتنبي بقوله :

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا  
فوضع الندى فى موضع السيف بالعلا مضر كوضع السيف فى موضع الندى

وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا ، فَنَ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ  
لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (٤٠) وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ  
سَبِيلٍ (٤١) إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ  
بِغَيْرِ الْحَقِّ ، أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٤٢) وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ  
لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (٤٣) .

### شرح المفردات

السيئة : مأخوذة من السوء ، وهو القبيح ، وانتصر : أى سعى فى نصر نفسه  
بجهده ، من سبيل : أى من عقاب ولا عتاب ، لمن عزم الأمور : أى لمن الأمور  
المشكورة والأفعال التى ندب إليها عباده ولم يرخس بالتهاون فيها .

### المعنى الجملى

بعد أن مدح فيما سلف الذين ينتصرون لأنفسهم ممن بغى عليهم — أردف  
ذلك بما يدل على أن ذلك الانتصار مقيد بالمثل ، لأن النقصان حثيف ، والزيادة  
ظلم ، والتساوى هو العدل الذى قامت به السموات والأرض ، ثم ندب إلى العفو

والإغضاء عن الزلات ، ثم ذكر أنه لا مؤاخذه على من ينتصر لنفسه ، وإنما المؤاخذه على من يظلم الناس ويبغى فى الأرض بغير الحق ، وأن الصبر وغفران السيئة مما حث عليه الدين وأجزل ثواب فاعله .

## الإيضاح

( وجزاء سيئة سيئة مثلها ) أى وجزاء سيئة المسىء عقوبته بما شرعه الله من عقوبة مماثلة لجرمه ، وسمى هذا الجزاء سيئة مع أنه عقوبة مشروعة من الله مأذون بها ، لأنها تسوء من تنزل به كما قال تعالى فى آية أخرى « وَإِنْ تُصِيبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَّقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ » يريد ما يسوءهم من المصائب والبلايا .

وفى الآية حث على العفو ، لأن الانتصار إنما يحمد إذا حصلت المائلة فى الجزاء وتقديرها عسر شاق ، وربما صار المظلوم حين استيفاء القصاص ظالماً .

ونحو الآية قوله : « مَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ » وقوله : « وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوْقِبْتُمْ بِهِ » وقوله : « وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا » .

وقد أمر صلى الله عليه وسلم بردّ الشتم على الشاتم . أخرج النسائى وابن ماجه وابن مردويه عن عائشة قالت : « دخلت على زينب وعندى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبلت على تسبى فردعها النبى صلى الله عليه وسلم فلم تنته ، فقال لى سببها ، فسببتها حتى جفّ ريقها فى فمها ، ووجه رسول الله يتهلل سرورا » . وكان هذا بمنزلة التعزير منه لزينب بلسان عائشة ، لما أن لها حقاً فى الرد وقد رأى فيه المصلحة .

وأخرج أحمد ومسلم وأبو داود والترمذى وابن مردويه عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « المستبّان ما قالَا من شيء فعلى البادى حتى يمتدّى المظلوم ثم قرأ ( وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا ) » .

وقصارى ذلك - إن كل جناية على النفس أو المال تقابل بمثلها قصاصا ، لأن إهدارها يوجب فتح باب الشرور والفساد ، إذ في طبع الإنسان الظلم والبغى والعدوان فإذا لم يزدجر عنه تهادى فيه ولم يتركه ، والزيادة على قدر الدنب ظلم ، والشرائع تنزه عن ذلك ، ومن ثم شرع الله القصاص وندب إلى الفضل وهو العفو فقال : « وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ » وجاء تمة لهذه الآية .

( فمن عفا وأصلح فأجره على الله ) أى فمن عفا عن المسمى وأصلح ما بينه وبين من يعاديه بالعفو والإغضاء عما صدر منه ، فأجره على الله ، فيجزيه أعظم الجزاء . وفى إيهام الأجر وجعله حقا على العظيم الكريم جل شأنه زيادة فى الترغيب فى العفو والحث عليه .

أخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا كان يوم القيامة أمر الله مناديا ينادى : ألا ليقيم من كان له على الله أجر فلا يقوم إلا من عفا فى الدنيا وذلك قوله : ( فَمَن عَفَا ) الآية » .

ثم ذكر سبحانه خروج الظلمة عن محبته التى هى سبب الفوز والنجاة فقال : ( إنه لا يحب الظالمين ) أى إنه تعالى لا يحب المتجاوزين الحد فى الانتقام ، وفى هذا تصريح بما تضمنه سالف الكلام من حسن رعاية طريق المائلة وأنها قلما تخلو من الاعتداء والتجاوز عن الواجب ، ولا سي حال الحرّاد والتهاب الحمية ، وحينئذ يدخل المنتقمون فى زمرة من لا يحبهم الله .

( ولئن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل ) أى ومن انتصر من ظلمه بعد ظلمه إياه ، فأولئك المنتصرون لا سبيل للمنتصر منهم بعقوبة ولا أذى ، لأنهم انتصروا منهم بحق ، ومن أخذ حقه ممن وجب له عليه ولم يتعد - لم يظلم فلا سبيل لأحد عليه .



ولما نفى السبيل على من انتصر بعد ظلمه بين من عليه السبيل فقال :  
( إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبيعون فى الأرض بغير الحق ) أى إنما  
المرج والإثم على الذين يبدءون الناس بالظلم أو يزيدون فى الانتقام ويتجاوزون  
ما أخذهم ، أو يتكبرون فيها تجبراً وفساداً .

( أولئك لهم عذاب أليم ) أى هؤلاء لهم عذاب مؤلم بسبب بغيهم وظلمهم .  
ثم رغب سبحانه فى الصبر والعفو فقال :

( ولن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور ) أى ومن صبر عن الانتصار من غير  
انتقام ولا شكوى ، وستر السيئة فقد فعل ما يشكر عليه ويستحق به الأجر  
وجزى الثواب .

روى « أنه صلى الله عليه وسلم قال لأبى بكر : يا أبا بكر ثلاث كلهن حق : ما من  
عبد ظلم بمظلمة فيغضى عنها إلا أعزه الله تعالى بها ونصره ، وما فتح رجل باب عطية  
يريد بها صلة إلا زاده الله بها كثرة . وما فتح رجل باب مسألة يريد بها كثرة  
إلا زاده الله عز وجل بها قلة » .

وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا  
الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ ؟ (٤٤) وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا  
خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ  
الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ  
مُقِيمٍ (٤٥) وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ ، وَمَنْ  
يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ (٤٦) .

## المعنى الجملى

بعد أن ذكر أن الذين يظلمون الناس ويبيعون فى الأرض بغير الحق لهم عذاب أليم على ما اجتروحوا من البغى والعدوان بغير الحق — أردف ذلك ببيان أن من أضله الله فلا هادى له ، وأن الكافرين حين يرون العذاب يوم القيامة يطلبون الرجوع إلى الدنيا ، وأنهم يعرضون على النار وهم خاشعون أذلاء ينظرون من طرف خفى ، وأن الذين آمنوا يقولون إن الكافرين اتى خسران فقد أضاعوا النفس والأهل ولا يجدون لهم ناصرا يخلصهم مما هم فيه من العذاب .

## الإيضاح

(ومن يضل الله فما له من ولى من بعده) أى إنه ما شاء الله كان ولا راد له ، وما لم يشأ لم يكن ، فمن هداه الله فلا مضل له ، ومن يضله فلا هادى له .  
والخلاصة — إن من خذله الله لسوء استعداده وتدسسته نفسه باجتراح الآثام والمعاصى ، فليس له من ولى يهديه إلى سبيل الرشاد ، ويوصله إلى طريق الفوز والفلاح .

ونحو الآية قوله : « وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا » .

ثم ذكر تنبى الكافرين الرجوع إلى الدنيا فقال :  
(وترى الظالمين لما رأوا العذاب يقولون هل إلى مردة من سبيل ؟) أى وترى الكافرين بالله حين يعاينون العذاب يوم القيامة يتمنون الرجعة إلى الدنيا ويقولون : هل من رجعة لنا إليها ؟

ونحو الآية قوله : « وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَعُوا عَلَى النَّارِ قَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذَّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ . بَلْ بَدَأَ لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ » .

ثم ذكر حالهم حين يعرضون على النار فقال :

(وتراهم يعرضون عليها خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفي) أى وتراهم أيضا فى ذلك اليوم يعرضون على النار وهم خاشعون أذلاء ( لأنهم عرفوا ذنوبهم وتكشفت لهم عظمة من عصوه ) يسارقون النظر إليها خوفا منها وحذرا من الوقوع فيها ، كما ينظر من قدّم للقتل إلى السيف ، فلا يقدر أن يملأ عينيه منه ، وإنما ينظر ببعضها .

ولما وصف حال الكفار حكى ما يقوله المؤمنون فيهم فقال :

( وقال الذين آمنوا إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ) أى ويقول المؤمنون يوم القيامة : إن الغبونين غبنا لاغبين بعدهم — هم الذين خسروا أنفسهم فأدخلوا فى النار وحرّموا نعيم الأبد ، وفرّق بينهم وبين أحبّاءهم وأصحابهم وذوى قراباتهم .

ثم صدّقهم ربهم فيما قالوا فقال :

( ألا إن الظالمين فى عذاب مقيم ) أى ألا إن الكافرين لى عذاب سرمدى لاهرب لهم منه ولا خلاص ، ثم أياهم من الفكاك منه بأى سبيل فقال :

( وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله ) أى ولا يجدون لهم أعوانا وأنصارا ينقذونهم مما حل بهم من العذاب ، فأصنامهم التى كانوا يعبدونها لتشفع لهم لاستطيع أن تتقدم إليهم بشفاعه .

( ومن يضل الله فما له من سبيل ) أى ومن يضلله الله لما علم من استعدادة للشر والفساد وارتكاب الشرور والآثام فلا سبيل له إلى الوصول إلى الحق فى الدنيا ولا إلى الجنة فى الآخرة

اَسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَمْ رَدِّ لَهُ مِنْ اللَّهِ  
 مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ (٤٧) فَإِنْ أَعْرَضُوا  
 فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِلَّا عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ ، وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ  
 مِنَّا رَحْمَةً فَفَرِحَ بِهَا ، وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ  
 كَفُورٌ (٤٨) اللَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ  
 إِنَآثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذَّكَرَ (٤٩) أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَآثًا وَيَجْعَلُ  
 مَنْ يَشَاءُ عَاقِبَةً إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ (٥٠) .

### شرح المفردات

استجيبوا لربكم : أى أجبوه إذا دعاكم ، فيه نجاتكم ، لامرؤ له : أى لا يرده  
 أحد بعد ما حكم به ، ملجأ : أى ملاذ تلجئون إليه ، نكير : أى إنكار وجحود لما  
 اقترفوا ، حفيظا : أى محاسبا لأعمالهم رقيباً عليها ، رحمة : أى نعمة من صحة وغنى ،  
 سيئة : أى بلاء من فقر ومرض وخوف ، كفور : نساء للنعمة ذكراً للبلية ، يزوجهم :  
 أى يجعلهم جامعين بين البنين والبنات ، عاقباً : أى لا يولد له .

### المعنى الجملى

بعد أن ذكر ماسيكون يوم القيامة من الأهوال وعظائم الأمور — حذر من  
 هذا اليوم فبين أن الكافرين لا يجدون حينئذ ملجأ يقيهم من عذاب الله ، ولا ينكرون  
 ما اقترفوه لأنه مكتوب فى صحائف أعمالهم ، ثم أرشد رسوله إلى أنهم إن أعرضوا  
 عن دعوتك ، فلا تأبه بهم ولا تهتم بشأنهم ، ثم أعقب هذا بذكر طبيعة الإنسان  
 وأنه يفرح حين النعمة ويحسد نعم ربه حين الشدة ، ثم قسم هبته لعباده فى النسل

أربعة أقسام ، فمنهم من وهب الإناث ، ومنهم من وهب الذكران ، ومنهم من أعطى الصنفين ، ومنهم العقيم الذى لا نسل له .

### الإيضاح

( استجبوا لربكم من قبل أن يأتى يوم لا مرد له من الله ) أى أجيئوا داعى الله وهو رسوله صلى الله عليه وسلم وآمنوا به واتبعوه فيما جاءكم به من عنده من قبل أن يأتى يوم لا يستطيع أحد أن يردّه إذا جاء به الله .

( مالكم من ملجأ يومئذ ومالككم من نكير ) أى ليس لكم حصن تتحصنون فيه ، ولا نستطيعون إنكار ما اجترحموه من السيئات ، لأنه قد كتب فى صحفكم وتشهد به ألسنتكم وجوارحكم .

ونحو الآية قوله تعالى : « يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْفَرُّ ؟ كَلَّا لَا وَزَرَ . إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ » .

( فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا إن عليك إلا البلاغ ) أى فإن أعرض هؤلاء المشركون عما أتيتهم به من الحق ودعوتهم إليه من الرشد ، ولم يستجبوا لك وأبوا قبوله منك ، فدعهم وشأنهم فإننا لم نرسلك رقيبا عليهم تحفظ أعمالهم وتحصيها ، فما عليك إلا أن تبليغهم ما أرسلناك به إليهم ، فإذا أنت بلغته فقد أديت ما كلفت به .

ونحو الآية قوله : « لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ » وقوله : « لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ » وقوله : « فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ »

وبعد ذكر طبيعة الإنسان وخصائصه فى هذه الحياة فقال :

( وإنا إذا أذقنا الإنسان منا رحمة فرح بها وإن تصهم سيئة بما قدمت أيديهم فإن الإنسان كفور ) أى إنا إذا أغنيانا ابن آدم فأعطيناه من لدنا سعة فى الرزق

أو في الصحة أو في الأمن سرّ بما آتينا ، وإن أصابته فاقة أو مرض بما أسلف من معصية ربه جحد نعمتنا وأيس من الخير ، والإنسان من طبعه الجحد والكفران بالنعم حين الشدة .

والخلاصة — إن الإنسان إن إصابته نعمة أشد وبطر ، وإن ابتلى بمحنة يئس وقنط .

(لله ملك السموات والأرض) أي إنه خالق السموات والأرض ومالكهما والمتصرف فيهما ، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، وهو يعطي من يشاء ويتنعم من يشاء ، لا مانع لما أعطى ولا معطى لما منع .

(يخلق ما يشاء ، يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور . أو يزوجهم ذكرا وإناثا ويجعل من يشاء عقيما) أي يخلق ما يشاء فيرزق من يشاء البنات فحسب ، ويرزق من يشاء البنين فحسب ، ويعطي من يشاء الزوجين الذكر والأنثى ، ويجعل من يشاء لانس له .

وفي هذا إيماء إلى أن الملك ملكه من غير منازع ولا مشارك يتصرف فيه كيف يشاء ، ويخلق ما يشاء ، فليس لأحد أن يعترض أو يدبر على حسب هواه ، وتصرفه لا يكون إلا على أكمل وجه وأنتم نظام ، وقد قيل : ليس في الإمكان أبدع مما كان .

(إنه عليم قدير) أي إنه عليم بمن يستحق كل نوع من هذه الأنواع ، قدير على ما يريد أن يخلق ، فيفعل ما يفعله بحكمة وعلم .

وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ  
رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٥١) وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا  
إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ  
جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ، وَإِنَّكَ لَتَهْدَى إِلَى صِرَاطٍ  
مُسْتَقِيمٍ (٥٢) صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ،  
أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ (٥٣)

### المعنى الجملى

بعد أن ذكر سبحانه تقسيم النعم الثمانية التى يهبها لعباده — أردفها بتقسيم  
النعم الروحية ، وأبان أن الناس محجوبون عن ربهم ، لأنهم فى عالم المادة وهو منز  
عنها ، ولكن من رُقَّ حجابُه وخالصت نفسه وأصبح فى مقدوره أن يتصل بالملا  
الأعلى يستطيع أن يكلم ربه على أحد أوجه ثلاثة :

(١) أن يحس بمعان تلقى فى قلبه أو يرى رؤيا منامية كرويا الخليل إبراهيم  
عليه السلام ذبح ولده .

(٢) أن يسمع كلاما من وراء حجاب كما سمع موسى عليه السلام من غير أن  
يبصر من يكلمه ، فهو قد سمع كلاما ولم ير المتكلم .

(٣) أن يرسل إليه ملكا فيوحى ذلك الملك ما يشاء إلى النبى صلى الله  
عليه وسلم .

ثم ذكر أنه كما أوحى إلى الأنبياء قبله أوحى إليه القرآن وما كان قبله يعلم  
ما القرآن وما الشرائع التى بها هداية البشر وصلاحهم فى الدارين .

## الإيضاح

(وما كان لبشر أن يكلمه الله) أى وما ينبغي لبشر من بى آدم أن يكلمه ربه  
إلا بأحدى طرق ثلاث :

(١) (إلا وحيًا) أى إلا أن يوحى إليه وحيًا أى يكلمه كلامًا خفيًا بغير  
واسطة بأن يقذف فى رُوع النبي شيئًا لا يتأثر فيه أنه من الله عز وجل كما روى  
ابن حبان فى صحيحه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن روح القدس نفث  
فى رُوعى : إن نفسًا إن تموت حتى تستكمل رزقها وأجلها ، فاتقوا الله وأجملوا  
فى الطلب » .

(٢) (أو من وراء حجاب) أى أو إلا من طريق لا يرى السامع المتكلم مع  
سماعه للكلام جهرًا كما كلم موسى عليه السلام ربه .

(٣) (أو يرسل رسولًا فيوحى بإذنه ما يشاء) أى أو يرسل الله من ملائكته  
رسولًا إما جبريل أو غيره فيوحى ذلك الرسول إلى المرسل إليه ما يشاء ربه أن يوحىه  
إليه من أمر أو نهى كما كان جبريل عليه السلام ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم  
وعلى غيره من الأنبياء .

روى البخارى فى صحيحه عن عائشة رضى الله عنها أن الحارث بن هشام رضى الله  
عنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « يا رسول الله كيف أتيتك الوحي :  
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أحيانًا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده على  
فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال ، وأحيانًا يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمنى فأعنى  
ما يقول » . قالت عائشة : ولقد رأيته ينزل عليه الوحي فى اليوم الشديد البرد فيفصم  
عنه ، وإن جبينه ليتفصد (يسيل) عرف .

(إنه على حكيم) أى إنه على صفات المخوفين يفعل ما تقتضيه حكمته ،  
فيكلمه تارة بواسطة ، وتارة بغير واسطة إما إلهامًا وإما خطابًا من وراء حجاب .



وبعد أن بين أقسام الوحي ذكر أنه أوحى إلى رسوله صلى الله عليه وسلم  
كما أوحى إلى الأنبياء قبله فقال :

(وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا) أى وكما أوحينا إلى سائر رسلنا أوحينا  
إليك هذا القرآن رحمة من عندنا .

ثم بين حال نبيه قبل نزول الوحي بقوله :

ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ( أى ما كنت قبل الأربعين وأنت  
بين ظهرائى قومك تعرف ما القرآن ولا تفاصيل الشرائع ومعالمها على النهج الذى  
أوحينا به إليك .

(ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا) أى ولكن جعلنا هذا  
القرآن نورا عظيما نهدي به من نشاء هدايته من عبادنا ، ونرشده إلى الدين الحق .  
ونحو الآية قوله : « قُلْ هُوَ الَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ  
فِي آذَانِهِمْ وَقُفٌّ وَهُوَ عَلَيْهِمْ سَمًى » الآية .

(وإنا لك تهدي إلى صراط مستقيم) أى وإنا لك تهدي بذلك النور من نشاء  
هدايته إلى الحق القويم .

ثم فسر هذا الصراط بقوله :

(صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الأرض) أى هذا الطريق هو  
الطريق الذى شرعه الله مالك السموات والأرض والمتصرف فيهما ، والحاكم الذى  
لامعقب لحكمه .

(ألا إلى الله تصير الأمور) أى إن أمور الخلائق يوم القيامة تصير إلى الله

لا إلى غيره ، فيضع كلا منهم فى موضعه الذى يستحقه من نعم أو جحيم  
وفى هذا وعد المهتدين إلى الصراط المستقيم ، ووعد للظالمين .

## خلاصة ماتضمنته السورة الكريمة من الموضوعات

- ( ١ ) إزال الوحي على رسوله صلى الله عليه وسلم .
- ( ٢ ) اختلاف الأديان ضرورى للبشر .
- ( ٣ ) أصول الشرائع واحدة لدى جميع الرسل .
- ( ٤ ) اختلاف المختلفين فى الأديان بغى وعدوان منهم .
- ( ٥ ) إنكار نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بعد أن قامت الأدلة على صدقه .
- ( ٦ ) استعجال المشركين لحجىء الساعة وإشفاق المؤمنين منها .
- ( ٧ ) من يعمل للدنيا يؤت منها وماله حظ فى الآخرة ، ومن يعمل للآخرة يوفقه الله للخير .
- ( ٨ ) ينزل الله الرزق بقدر على حسب ما يرى من المصلحة .
- ( ٩ ) من الأدلة على وجود الخالق خلق السموات والأرض وجرى السفن فى البحار .
- ( ١٠ ) متاع الآخرة خير وأبقى من متاع الدنيا .
- ( ١١ ) جزاء السيئة سيئة مثلها ، فمن عفا وأصلح فأجره على الله .
- ( ١٢ ) يتمنى المشركون يوم القيامة العود إلى الدنيا حين يرون العذاب .
- ( ١٣ ) إذا عرض المشركون على النار نظروا إليها من طرف خفى وهم خاشعون أذلاء .
- ( ١٤ ) ليس على الرسول إلا البلاغ .
- ( ١٥ ) يهب الله لمن يشاء الإنث ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم ذكرانا وإناثا ويجعل من يشاء عقيما .
- ( ١٦ ) أقسام الوحي إلى البشر .
- ( ١٧ ) الرسول قبل الوحي ما كان يذرى شيئا من الشرائع .

## سورة الزخرف

هى مكية إلا آية ٤٥ فإنها نزلت بالمدينة ، قاله مقاتل ، وآياتها تسع وثمانون ، نزلت بعد الشورى .  
 ووجه مناسبتها ما قبلها أن مفتتح هذه يشأ كل مختتم تلك .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمَّ (١) وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢) إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٣) وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلٌّ حَكِيمٌ (٤) أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ (٥) وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيِّ فِي الْأَوَّلِينَ (٦) وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٧) فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَضَى مَثَلُ الْأَوَّلِينَ (٨) .

### شرح المفردات

الكتاب : هو القرآن ، المبين : أى الموضح لطريق الهدى المبعد من الضلالات  
 لعلمكم تعقلون : أى لكي تفهموه وتحيطوا بما فيه ، أم الكتاب : هو علم الله الأزلئ ،  
 حكيم : أى ذو حكمة بالغة ، يقال ضربت عنه وأضربت عنه : أى تركته ،  
 والذكر : أى القرآن ، صفحا : أى إعراضا ، مسرفين : أى منهمكين فى كفرهم  
 وتوليكم عن الحق ، بطشا : أى قوة وجلدا ، مضى : أى سلف ، والمثل : الصفة .

### المعنى الجملى

أقسم سبحانه بكتابه المبين لطريق الهدى إنه جعل هذا القرآن بلغة العرب لغة قومك ليفقهوا معناه ويحيطوا به خبرا ، وإنه محفوظ فى علمه تعالى فليس هو من عند

محمد كما تدعون ، وإنا لن نترك تذكيركم به لأجل إعراضكم عنه ، وإنهما كنتم في الكفر به . رحمة منا ولطفًا بكم ، ثم حذرهم وأنذرهم بأن كثيرا من الأمم قبلهم ممن كانوا أشد منهم قوة ، كذبوا رسلم فكان عاقبتهم ما رأيتم وحل بهم ما شاهدون آثاره .

## الإيضاح

( حَمَّ ) تقدم الكلام في مثل هذا من قبل .

(والكتاب المبين) أى القرآن المبين لطريق الهدى والرشاد، الموضح لما يحتاج إليه البشر في دنياهم وآخرتهم ليفوزوا بالسعادة ، فمن سلك سبيله فاز ونجا ، ومن تنكب عنه خاب سعيه وضل سواء السبيل .

( إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون ) أى إنا أنزلناه قرآنا عربيا إذ كنتم أيها المندرون به من رهط محمد صلى الله عليه وسلم عربا ، لتعقلوا ما فيه من عبر ومواعظ ، ولتتدبروا معانيه ، ولم ينزله بلسان العجم حتى لا تقولوا نحن عرب ، وهذا كلام أعجمى لانفقه شيئا مما فيه .

ثم بين شرفه في الملأ الأعلى نعظيما له وليطيعه أهل الأرض فقال :  
( وإنه في أم الكتاب لدينا لعلى حكيم ) أى وإن هذا الكتاب فى علمه الأزلى رفيع الشأن ، لاشتماله على الأسرار والحكم التى فيها سعادة البشر وهدايتهم إلى سبيل الحق .

ونحو الآية قوله تعالى : « إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ . فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ . لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ . تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ » .

( أفنضرب عنكم الذكر صفحا أن كنتم قوما مسرفين ؟ ) أى أنترك إنذاركم وتذكيركم بالقرآن لأنهما كنتم فى الكفر والإعراض عن أوامره ونواهيه ؟ كلا .

لا نفعل ذلك رحمة بكم ، وقد كانت حالكم تدعو إلى تخليتكم وما تريدون حتى تموتوا على الضلال .

قال قتادة : لو أن هذا القرآن قد رفع حين رده أوائل هذه الأمة لهلكوا ، ولكن الله تعالى عاد بعائده ورحمته فكرره عليهم ودعاهم إليه عشرين سنة أو ما شاء الله اه .

أراد أنه تعالى من رحمته ولطفه بخلقه لا يترك دعاهم إلى الخير وإلى الذكر الحكيم وإن كانوا مسرفين معرضين عنه ، بل يأمر به ليبتدى من قدر له الهداية ، وتقوم الحجة على من كتب له الشقاوة .

ثم قال مسلماً رسوله صلى الله عليه وسلم عن تكذيب قومه ، أمره بالصبر ، مهدداً للمشركين ، منذراً لهم بشديد العقاب .

( وكم أرسلنا من نبي في الأولين . وما يأتيهم من نبي إلا كانوا به يستهزئون )  
أى وكثيراً ما أرسلنا في الأمم الفائرة رسلاً قبلك كما أرسلناك إلى قومك من قريش ، وكلما أتى نبي أمته يدعومهم إلى الهدى وطريق الحق استهزؤا به وسخروا منه كما يفعل قومك بك — فقومك ليسوا ببدع في الأمم ، ولا أنت ببدع في الرسل ، فلا تأس على ما تجدد منهم ولا يشقن ذلك عليك ، فهم قد سلكوا سبيل من قبلهم واحتدوا حدوم ، ونهجوا نهجهم حدوا القذة بالقذة ، وكن كما كان أولو العزم من الرسل ، واصبر كما صبروا على ما أودوا في سبيل الله .

ثم ذكر عقبي تكذيبهم واستهزائهم برسله تسلياً لرسوله وتحذيراً لهم فقال :  
( فأهلكنا أشد منهم بطشاً ) أى فأهلكنا المكذبين بالرسل ولم يقدرُوا على دفع بأسنا إذ أتاهم ، وقد كانوا أشد بطشاً من قومك وأشد قوة ، فأخز بهؤلاء ألا يمجزوننا .

ونحو الآية قوله : « أَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً » الآية .

(ومضى مثل الأولين) أى وقد مضت سنتنا فى المكذبين لرسلم من قبلكم،  
ورأيتم ما حل بهم ، فاحذروا أن يحل بكم مثل ما حل بهم .  
ونحو الآية قوله : « سَجَعْنَا لَهُمْ سَفَاءً وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ » وقال : « سُنَّةَ اللَّهِ  
الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ » .

وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ  
الْعَلِيمُ (٩) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا  
لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٠) وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً  
مَيِّتًا ، كَذَلِكَ نُخْرِجُونَ (١١) وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمْ  
مِنَ الْفُلُكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرَكِبُونَ (١٢) لَتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا  
نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا  
وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ (١٣) وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ (١٤) .

### شرح المفردات

مهدا : أى فراشا ، وأصله موضع فراش الصبي ، سبلاً : واحداً سبيلاً ، وهى  
الطريق ، بقدر : أى بمقدار تقتضيه الحكمة والمصلحة ، فأنشأنا : أى أحيينا ،  
ميثا : أى خالية من النبات ، الأزواج : أصناف المخلوقات ، لتستوا على ظهوره .  
أى لتستقروا عليها ، سخر : ذلل ، مقرنين : أى مطيقين ، قاله قطرب وأنشد قول  
عمرو بن معدى كرب :

لقد علم القبايل ما عُمِّل  
لنا فى الثابت بمقرنينا

وقال آخر :

رَكِبْتُمْ صَعَبَاتٍ أَشْرَ وَحَيْفٍ وَلَسْتُمْ لِلصَّعَابِ بِمُقَرَّنِينَ  
لِمُنْقَلِبُونَ : أى راجعون .

### المعنى الجملى

بعد أن ذكر أن المشركين منهمكون فى كفرهم وإعراضهم عما جاء به القرآن من توحيد الله والبعث — أبان هنا أن فعلهم يخالف قولهم ، فإن سألتهم عن الخالق لهذا الكون من سمائه وأرضه ليقولون : الله ، وهم مع اعترافهم به يعبدون الأوثان والأصنام ، ثم ذكر سبحانه جليل أوصافه ، فأرشد إلى أنه هو الذى جعل الأرض فراشا وجعل فيها طرقا تهتدوا بها فى سيركم ، ونزل من السماء ماء بقدر الحاجة يكفى زرع النبات وسقى الحيوان ، وخلق أصناف المخلوقات جميعا من حيوان ونبات ، وسخر لكم السفن والدواب لتركبوها وتشكروا الله على ما آتاكم ، وتقولوا : لولا لطف الله بنا ما كنا لذلك بمطيقين ، وإنا يوم القيامة إلى ربنا راجعون ، فيجازى كل نفس بما كسبت ، إن خيرا نخير ، وإن شرا فشر .

### الإيضاح

( ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم ) أى ولئن سألت أيها الرسول هؤلاء المشركين من قومك : من خلق السموات والأرض؟ لأجابوك : خلقهن العزيز فى سلطانه وانتقامه من أعدائه ، العليم بهن وما فيهن لا يخفى عليه شئ من ذلك .

واختلاصة — إنهم يعترفون بأنه لا خالق لها سواه وهم مع هذا يعبدون معه غيره من الأصنام والأوثان .

ثم دل على نفسه بذكر مصنوعاته فقال :

(١) (الذى جعل لكم الأرض مهديا وجعل لكم فيها سبيلا لعلكم تهتدون) أى والعزيز العليم هو الذى مهد لكم الأرض وجعلها لكم وطاء تطئونها بأقدامكم ، وتمشون عليها بأرجلكم . وجعل لكم فيها طرقا تنتقلون فيها من بلد إلى آخر ، ومن إقليم إلى إقليم لعلكم لعلكم ومتاجركم وابتغاء رزقكم .

والخلاصة — إن الخلق كلهم يتربون على الأرض وهى موضع راحتهم كما يرى الصبي على مده .

(٢) (والذى نزل من السماء ماء بقدر فأنشربا به بلدة ميتا كذلك تخرجون) أى وهو الذى ينزل من السماء ماء بقدر الحاجة ، فلا يجعله كثيرا حتى لا يكون عذابا كالطوفان الذى أنزل على قوم نوح ، ولا قليلا لا يكفى النبات والزرع لئلا تهلكوا جوعا ، فتحيا به الأقاليم التى كانت خالية من النبات والشجر . وكما أحيينا الأرض بعد موتها بالماء نحياكم ونخرجكم من قبوركم أحياء .

(٣) (والذى خلق الأزواج كلها) أى وهو الذى خلق سائر الأصناف مما تنبت الأرض من نبات وأشجار وثمار وأزهار ، ومن الحيوان على اختلاف أجناسها وألوانها وأغاثها .

(٤) (وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون) أى وهو الذى جعل لكم من السفن ما تركبونه فى البحار إلى حيث قصدتم لعلكم ومتاجركم ، ومن الأنعام ما تركبونه فى البر كالخيل والبغال والحمير . وما سيجد من وسائل للمواصلات وطرق النقلة برا وبحرا كما جاء فى سورة النحل من قوله تعالى : « وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ » .

( لتستوا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين ) أى لى تستوا على ظهور ما تركبون من



الفلك والأنعام ، ثم تذكروا نعمة ربكم الذي أنعم به عليكم ، فتعظموه وتمجدوه وتقولوا تنزيها له عما يصفه المشركون : سبحان الذي سخر لنا هذا الذي ركبناه ، وما كنا لولا تسخيريه وتذليله بمطيقين ذلك ، فالأنعام مع قوتها ذلها للإنسان ينتفع بها حيث شاء وكيفما أراد ، ولولا ذلك ما استطاع الانتفاع بها ، ولقد أشار إلى نحو من هذا العباس بن مرداس فقال في وصف الجمل :

وتضربه الوليدة بالهراوى فلا غيرٍ لديه ولا نكير

واعلم أنه سبحانه عين ذكرا خاصا حين ركوب السفينة وهو قوله : « بِسْمِ اللَّهِ تَجْرِيهَا وَمُرْسَاهَا » وذكر آخر حين ركوب الأنعام وهو قوله : « سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا » وذكر آخر حين دخول المنازل وهو قوله : « رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ » .

أخرج مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي والحاكم وابن مردويه عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا سافر ركب راحلته ثم كبر ثلاثا ثم قال : ( سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين ) قال القرطبي : علمنا سبحانه وتعالى ما نقول إذا ركبنا الدواب ، وعرفنا في آية أخرى على لسان نوح عليه السلام ما نقول إذا ركبنا السفن ، فكلم من راكب دابة عثرت به أو شتمت أو تقحمت أو طاح عن ظهرها فهلك ، وكلم من راكب سفينة انكسرت به ففرق .

فلما كان الركوب مباشرة أمر محذور ، واتصالا بسبب من أسباب التلف ، أمر ألا ينسى عند اتصاله به موته وأنه هالك لا محالة فنقلب إلى الله عز وجل غير منفلت من قضائه ، ولا يدع ذكر ذلك بقلبه ولسانه حتى يكون مستعدا للقاء الله ، والحذر من أن يكون ركوبه ذلك من أسباب موته في علم الله وهو غافل عنه اهـ .

ولأجل ما تقدم أشار بقوله :

( وإنا إلى ربنا لنقلبون ) أى وإنا لصابرون إلى ربنا بعد مماتنا ، فيجازى

كل نفس بما عملت ، فاستعدوا لهذا اليوم ، ولا تغفلوا عن ذكره في حِلِّكم  
وترحالكم يوم ظنكم ويوم إقامتكم .

وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ (١٥)  
أَمْ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُمْ بِالْبَنِينَ (١٦) وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ  
بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (١٧) أَوْ مَنْ  
يَنْشَأُ فِي الْحُلِيِّةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ (١٨) وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ  
هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا ، أَشْهَدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْئَلُونَ (١٩)  
وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا  
يَخْرُصُونَ (٢٠) أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ (٢١)  
بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ (٢٢) وَكَذَلِكَ  
مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا  
عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ (٢٣) قَالَ أَوْ لَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى  
مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ ؟ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ (٢٤) فَانْتَقَمْنَا  
مِنْهُمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (٢٥) .

### شرح المفردات

جزءاً : أى ولداً؛ إذ قالوا للملائكة بنات الله ، وعبر عن الولد بالجزء ، لأنه بضعه  
من ولده ؛ كما قال شاعرهم :

إِنَّمَا أَوْلَادُنَا أَكْبَا دَنَا تَمْشَى عَلَى الْأَرْضِ

مبين : أى ظاهر الكفر ، من أبان بمعنى ظهر ، أصفاكم : أى اختار لكم ،  
ضرب : أى جعل ، مثلاً : أى شبه أى مشابها بنسبة النبات إليه ، لأن أولاد يشبه  
الوالد ، كظيم : أى ممتلئ غيظاً وغماً ، ينشأ : أى يربى ، فى الحليّة : أى فى الزينة ،  
الخصام : أى الجدل ، غير مبين : أى غير مظهر حجته لعجزه عن الجدل ، يخرسون :  
أى يكذبون ، مستمسكون : أى متمسكون وممولون ، على أمة : أى على طريقة  
خاصة ، مترفوها : أى أهل الترف والنعمة فيها الذين أبطرتهم الشهوات ، فلا ينظرون  
إلى ما يوصلهم إلى الحق ، مقتدون : أى سالكون طريقهم .

### المعنى الجملى

بعد أن ذكر أنهم يعترفون بالآلوهية لله وأنه خالق السموات والأرض ، أردف  
هذا ببيان أنهم متناقضون مكابرون ، مهم مع اعترافهم لله بخلق السموات والأرض  
يصفونه بصفات الخلقين المنافية لكونه خالقاً لهم ، إذ جعلوا الملائكة بنات له ،  
ولا غرو ، فالإنسان من طبعه الكفران وجحود الحق ، ومن عجيب أمرهم أنهم أعطوه  
أحسن صنفى الأولاد ، وما لو بشر أحدهم به اسودّ وجهه وامتلأ غيظاً ، ومن يتربى  
فى الزينة وهو لا يكاد يبين حين الجدل ، فلا يُظهر حجة ولا يؤيد رأياً ، واختاروا  
لأنفسهم الذكران ، ثم أعقبه بالنمى عليهم فى جعلهم الملائكة إناثاً ، وزاد فى الإنكار  
عليهم ببيان أن مثل هذا الحكم لا يكون إلا عن مشاهدة ، فهل هم شهدوا ذلك ؟  
ثم توعدهم على هذه المقالة وأنه يوم القيامة يجازيهم بها .

ثم حكى عنهم شبهة أخرى ، قالوا : لو شاء الله ألا نبعد الملائكة ما عبدناها ،  
لكنه شاء عبادتها لأنها هى المتحققة فعلاً فتكون حسنة ويمتنع النهى عنها ،  
ثم رد مقالهم بأن المشيئة إنما هى ترجيح بعض الأشياء على بعض ، ولا دخل لها  
فى حسن أو قبح .

وبعد أن أبطل استدلالهم العقلى نفى أن يكون لهم دليل نقلى على صحة ما يدّعون ،

ثم أبان أن ما فعلوه إنما هو بمحض التقليد عن الآباء دون حجة ولا برهان ، وم  
ليسوا ببدع في ذلك ، فكثير من الأمم قبلهم قالوا مثل مقالهم ، مع أن الرسل بينوا  
لهم الطريق السوي فكفروا به واتبعوا سنن من قبلهم حذوا القذة بالقذة ، فكان  
عاقبة أمرهم أن حل بهم نكالنا كما يشاهدون ويرون من آثارهم .

## الإيضاح

( وجعلوا له من عباده جزءا ) أى وأثبتوا لله ولدا ، إذ قالوا الملائكة بنات الله  
قاله مجاهد والحسن ، والولد جزء من والده كما قال عليه السلام « فاطمة بضعة مني » .  
وإن مقالهم هذا يقتضى الكفر من وجهين :

(١) كون الخالق جسما محدثا لمساواة الولد له ، فلا يكون إلها ولا خالقا .

(٢) الاستخفاف به ، إذ جعلوا له أضعف نوعى الإنسان وأخسهما .

ثم أكد كفرهم بقوله :

(إن الإنسان لكفور مبين) أى إن الإنسان لوجود بنعم ربه التى أنعمها عليه ،  
ظاهرا كفره لمن تأمل حاله وتدبر أمره .

ثم زاد فى الإنكار عليهم ، والتعجب من حالهم فقال :

(أم اتخذ مما يخلق بذات وأصفاكم بالبنين) أى هل اتخذ سبحانه من خلقه  
أحسن الصنفين لنفسه ، واختار لكم أفضاهما ؟ وكأنه قيل : هبوا أنه اتخذ ولدا فأنتم  
قد ركبتم شططا فى القسمة فادعيتم أنه سبحانه أشركم على نفسه بخير الجزأين وأعلها  
وترك لنفسه شرهما وأدناها ، فما أنتم إلا حقى جهلاء .

ونحو الآية قوله : « أَلَكُمُ الذَّكْرُ وَلَهُ الْأُنثَى . تِلْكَ إِذَا قُسِمَتْ ضِرَازِي

جائزة — » .

ثم زاد فى التوبيخ والإنكار بقوله :

( وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وهو كظيم )

أى وإذا بشر أحد هؤلاء بما نسبوه لله من البنات أنف وعلته الكآبة والحزن من سوء ما بشر به وتوارى من القوم خجلا .

روى أن بعض العرب وضعت امرأته أنثى فهجر البيت الذى ولدت فيه المرأة فقالت :

مالأبى حمزة لا يأتينا يظلّ في البيت الذى يلينا  
غضبانَ ألا نلد البنينا وليس لنا من أمرنا ماشينا  
وإنما نأخذ ما أعطينا

ثم كرر الإنكار وأكده قتل :

(أو من ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين) أى أو قد جعلوا لله الأنثى التى تقرى في الزينة ، وإذا خوصمت لا تقدر على إقامة حجة ولا تقرير دعوى ، لنقصان عقلها وضعف رأيها ؟ وما كان ينبغي لهم أن يفعلوا ذلك .

وفى قوله ( ينشأ في الحلية ) إيماء إلى ما فيه من الدعة ورخاوة الخلق بضعف المقاومة الجسمية واللسانية ، كما أن فيه دلالة على أن النشوء في الزينة ونعومة العيش من المعاييب والمذام للرجال ، وهو من محاسن ربات الحجال ، فعليهم أن يجتنبوا ذلك ويأنفوا منه ويربثوا بأنفسهم عنه ، قال شاعرهم :

كتب القتل والقتال علينا وعلى الغايات جرّ الذبول

وروى عن عمر أنه قال : « اخشوشنوا في الطعام ، واخشوشنوا في اللباس ، وتمعدّدوا » أى تزيّوا بزىّ معدّد في نقشفهم .

( وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا ) أى سموهم وحكموا لهم بذلك ، وفى هذا كفر من وجوه ثلاثة :

(١) إنهم نسبوا إلى الله الولد .

(٢) إنهم أعطوه أخس النصيبين .

(٣) إنهم استخفوا بالملائكة بجعلهم إناثا .

وقد رد الله عليهم مقالهم فقال :

( أشهدوا خلقهم ؟ ) أى أحصروا خلق الله لهم فشاهدوهم بنات حتى يحكموا  
بأبوتهم ؟

ونحو الآية قوله : « أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ » .

وفى هذا تجميل شديد لهم ورمى لهم بالسفه والحق .

ثم توعدهم على مقالهم فقال :

( ستكتب شهادتهم ويسألون ) أى ستكتب هذه الشهادة التى شهدوا بها  
فى الدنيا فى ديوان أعمالهم . ويسألون عنها يوم القيامة ليأتوا ببرهان على صحتها ، ولن  
يجدوا إلى ذلك سبيلا .

وفى هذا دليل على أن القول بغير برهان منكر ، وأن التقليد لا يغنى من  
الحق شيئا .

ثم حكى عنهم فنا آخر من فنون كفرهم بالله جاءوا به للاستهزاء والسخرية فقال :  
( وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم ) أى وقالوا لو شاء الله لحال بيننا وبين عبادة  
الأصنام التى هى على صورة الملائكة ، فإنه تعالى عالم بذلك وهو قد أقرنا عليه .

وقد جمعوا فى هذا أفانين من الكفر وضروبا من الترهات والأباطيل ، منها :

( ١ ) أنهم جعلوا لله ولدا تقدس سبحانه وتنزه عن ذلك .

( ٢ ) دعواهم أنه اصطفى البنات على البنين ، إذ جعلوا الملائكة الذين هم عباد  
الرحمن إناثا .

( ٣ ) عبادتهم لهم بلا دليل ولا برهان ولا إذن من الله ، بل بالرأى والهوى  
والتقليد للأسلاف .

( ٤ ) احتجاجهم بتقدير الله ذلك ، وقد جهلوا فى هذا جهلا كبيرا ، فإنه تعالى  
أنكر ذلك عليهم أشد الإنكار ، وهو منذ أن بعث الرسل وأنزل الكتب يأمر

بعبادته وحده لا شريك له ، وينهى عن عبادة سواه كما قال : « وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ، فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ » وقال : « وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا ، أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ ؟ » .

ثم رد عليهم مقالهم وبين جهلهم بقوله :

( ما لهم بذلك من علم ) أى ما لهم على ما قالوا ، دليل ولا برهان يستندون إليه فى تأييد دعواهم .

ثم أكد هذا الرد بقوله :

( إن هم إلا يخرصون ) أى ما هم إلا كاذبون فيما قالوا ، متمحلون تمحلا باطلا ، متقولون على الله ما لم يقوله .

وبعد أن بين بطلان قولهم بالعقل أتبعه ببطلانه بالنقل فقال :

( أم آتيناكم كتابا من قبله فهم به مستمسكون ) أى بل أعطيناهم كتابا من قبل هذا القرآن ينطق بصحة ما يدعون ، فهم بذلك الكتاب متمسكون ، وعليه معولون .  
والخلاصة — إنه لا كتاب لهم بذلك .

ولما بين أنه لا حجة لهم على ذلك من عقل ولا نقل — ذكر أن الحامل لهم

على ما جنحوا إليه إنما هو التقليد فقال :

( بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون ) أى ليس لهم مستند على ما هم فيه من الشرك سوى تقليد الآباء والأجداد ، وقد قالوا إنهم أرجح منا أحلاما وأصح أفهاما ، ونحن سائرون على طريقتهم ، وسالكون نهجهم ، ولم نأت بشيء من عند أنفسنا ، ولم نخلط فى الاتباع واقتفاء الآثار ، وقد قال قيس ابن الخطيم :

كنا على أمة آبائنا ويقتدى بالأول الآخر

والخلاصة - إنهم اعترفوا بأن لا مستند لهم من حيث العيان ولا من حيث العقل، ولا من حيث النقل، وإنما يستندون إلى تقليد آبائهم الجاهلة مثلهم .  
ثم بين سبحانه أن مقال هؤلاء قد سبقهم إلى مثله أشباههم ونظراؤهم من الأمم السالفة المكذبة للرسل فقال :

( وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون ) أى ومثل هذا المقال المتناهى فى الشناعة فالت الأمم الماضية لإخوانك الأنبياء، فلم ترسل قبلك فى قرية رسولا إلا قال رؤساؤها وكبراؤها : إنا وجدنا آباءنا على ملة ودين ، وإنا على منهاجهم سائرون ، نفعل مثل ما فعلوا ، ونعبد ما كانوا يعبدون .

فتومك أيها الرسول ليسوا يبدع فى الأمم ، فهم قد سلكوا نهج من قبلهم من أهل الشرك فى جواباتهم بما أجابوك به ، واحتجاجهم بما احتجوا به لمقامهم على دينهم الباطل .

ونحو الآية قوله : « كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ . أَتَوَاصَوْا بِهِ ؟ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ » .

وإنما قال أولا : مهتدون ، وثانيا : مقتدون ، لأن الأول وقع فى محاجتهم النبى صلى الله عليه وسلم وادعائهم أن آباءهم كانوا مهتدين وأنهم مهتدون كآبائهم ، فناسبه ( مهتدون ) والثانى وقع حكاية عن قوم ادعوا الاقتداء بالآباء دون الاهتداء فناسبه ( مقتدون ) .

وفى هذا تسلية لرسوله صلى الله عليه وسلم ودلالة على أن التقليد فى نحو ذلك ضلال قديم ، وتخصيص المترفين بالذكر للإشارة بأن الترف هو الذى أوجب البطر وصرفهم عن النظر إلى التقليد .



ثم حكى ما قاله كل رسول لأمته :

( قال أولو جثثكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم ؟ ) أى قال لهم الرسول : أتبعون ذلك وتسرون على نهجه ، ولو جثثكم من عند ربكم بدين أهدى إلى طريق الحق ، وأدل على سبيل الرشاد مما وجدتم عليه آباءكم من الدين والملة ؟ . وتلخيص ذلك — أتبعون آباءكم وتقلدوهم ولو جثثكم بدين أهدى من دين آبائكم ؟ .

فأجابه إجابة تبيس من اتباعهم له على كل حال .

( قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون ) أى قالوا إنا نأبتون على دين آبائنا لانفك عنه ولو جثثنا بما هو أهدى منه ، فكأنهم يقولون : إنهم لو علموا صحة ما جثثهم به ما انقادوا لك ، لسوء قصدهم ومكابرتهم للحق وأهله .

فمعدئذ لم يبق لهم عذر ، ومن ثم قال :

( فانتقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة المكذبين ) أى فانتقمنا من هؤلاء المكذبين لرسالهم الجاحدين بربهم ، فانظر أيها الرسول كيف كان عاقبة أمرهم حين كذبوا بآياتنا ؟ ألم نهلكهم ونجعلهم عبرة لغيرهم ؟

وفى هذا سلوة لرسوله ، وإرشاد له إلى عدم الاكتراث بتكذيب قومه له ، ووعيد وتهديد لهم .

وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ (٢٦) إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ (٢٧) وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٢٨) بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ (٢٩) وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ (٣٠) وَقَالُوا

لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ (٣١) أَهْمُ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ؟ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُلْخِيًّا وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ (٣٢) وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ (٣٣) وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَكَبَّرُونَ (٣٤) وَزُخْرَفًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ (٣٥)

### شرح المفردات

لأبيه : أى آزر ، براء : كلمة لاتثنى ولا تجمع يقولون : أنا منك براء ، ونحن منك براء ، فإن قلت برىء ثلثت وجمعت ، فطرنى : أى خلقنى ، والكلمة : هى كلمة التوحيد ، فى عقبه : أى فى ذريته ، مبين : أى ظاهر الرسالة بما له من المعجزات الباهرة ، من القريتين : أى من إحدى القريتين مكة والطائف ، والرجل الذى من مكة : هو الوليد بن المغيرة المخزومى وكان يسمى ريحانة قریش ، والذى من الطائف : هو عروة بن مسعود الثقفى ، ورحمة ربك : هى النبوة ، والسخرى : هو الذى يقهر على العمل ، والسقف بضمعين : واحداها سقف كرهن ورهن ، والمعارج : واحداها معرج ككبر ، وهو المسمى الآن (أسنسير) وهذا من معجزات القرآن إذ لم يكن معروفا عصر التنزيل ، يظهرون : أى يرتقون ، زخرفا : أى نقوشا وتراويق ، قال الراغب الزخرف : الزينة المزوقة ، ومنه قيل للذهب زخرف ، ولما بمعنى إلا ؛ حكى سيبويه نشدتك الله لَمَا فَعَلْتُ كَذَا : أى إِنْ فَعَلْتُ كَذَا .

## المعنى الجملى

بعد أن ذكر سبحانه فى الآية السالفة أن الذى دعا الكفار إلى اعتناق العقائد الزائفة هو تقليد الآباء والأجداد ، وبين أنه طريق باطل ، ونهج فاسد ، وأن الرجوع إلى الدليل أولى من التقليد — أردف هذا بأن ذكر لهم أن أشرف آبائهم وهو إبراهيم عليه السلام ترك دين الآباء وحكم بأن اتباع الدليل أولى من متابعتهم ، فيجب عليكم تقليده ، وحين عدل عن طريق آبائه جعل الله دينه باقياً فى عقبه إلى يوم القيامة ، وأديان آبائه درست وبطلت .

ثم ذكر أن قريشا وآباءهم مدّ لهم فى العمر والنعمة فاغتروا بذلك واتبعوا الشهوات وأعرضوا عن توحيد الله وشكره على آلائه ، حتى جاءهم الرسول منبها لهم مذكراً بالنظر إلى من فطرهم وفطر السموات والأرض وآتاهم من فضله ما يتمتعون به من زينة هذه الحياة ، فكذبوه وقالوا ساحر كذاب ، ثم حكى عنهم أنهم قالوا : هلا نُزِّلَ هذا القرآن على رجل عظيم الجاه كثير المال من إحدى القريتين مكة والطائف ، فرد الله عليهم مقالهم ، بأنه قسم الحظوظ الدنيوية بين عباده ، فجعل منهم الغنى والفقير والسيد والمسود والملوك والشوكة والأقوياء والضعفاء ولم يغير أحد ما حكم به فى أحوال دنياهم على حقارتها ، فكيف يعترضون على حكمه فيما هو أرفع درجة وأشرف غاية وأعظم مرتبة وهو منصب النبوة ؟ .

ثم ذكر أن التفاوت فى شئون الدنيا هو الذى يتم به نظام المجتمع والسير به على النهج القويم ، فلولا ما صرف بعضهم بعضاً فى حوائجهم ، ولا تعاونوا فى تسهيل وسائل المعيشة ، ثم أعقب هذا ببيان أنه لولا أن يرغب الناس فى الكفر إذا رأوا الكفار فى سعة من الرزق لمتهم بكل وسائل النعيم ، فجعل لبيوتهم أبواباً من فضة وسقفاً ومرراً ومساعد منها وزينة فى كل شيء ، ولكن كل هذا متاع قليل زائل والآخرة هى الباقية : وهى لمن يتقى الله ويجنب الكفر والمعاصى .

ولم يفعل ذلك بالمسلمين فيوسع عليهم جميعا ، ليكون سبب اجتماعهم على الإسلام العقيدة والإيمان المنبعث عن الاطمئنان ، لأنه لو فعل ذلك لاجتمعوا عليه طلبا للدنيا ، وهذا إيمان المنافقين ، ومن ثم ضيق الرزق على بعض المسلمين ووسع على بعض ليكون كل من دخل الإسلام ، فأنما يدخله للدليل والبرهان وابتغاء رضوان الله ومثوبته .

## الإيضاح

( وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون . إلا الذي فطرنى فإنه سيهدين ) أى واذا ذكر لقومك المكبّين على التقليد : كيف تبرأ إبراهيم من أبيه وقومه حين رآهم عاكفين على عبادة الأصنام ؟ قال لهم إنى براء مما تعبدون إلا من عبادة الله الذى خلقنى وخلق الناس جميعا ، وأنه سيهدينى إلى سبيل الرشاد ويوفقنى إلى اتباع الحق ، وقد جزم بذلك لثقتة بره ، ولقوة يقينه .

( وجعلها كلمة باقية فى عقبه لعلهم يرجعون ) أى وجعل كلمة التوحيد ( وهى لا إله إلا الله ) كلمة باقية فى ذريته يقتدى به فيها من هداة الله منهم ، لعل أهل مكة يرجعون عما هم عليه إلى دين أبيهم إبراهيم ، فإنهم إذا ذكروا أباهم الأعظم الذى بنى لهم البيت وأورثهم ذلك الفخر تبعوه فيما يدين به .

قال قتادة : لا يزال من عقبه من يعبد الله إلى يوم القيامة . وقال ابن العربى : إنما كانت لإبراهيم فى الأعقاب ، موصولة بالأحقاب ، بدعوتيه المجابتين : إحداها قوله : « إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ » فقد قال إلا من ظلم منهم فلا عهد له . ثانيتهما قوله : « وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ » .

( بل تمتعت هؤلاء وآباءهم حتى جاءهم الحق ورسول مبين ) أى ولكنى تمتعت هؤلاء المشركين وآباءهم من قبل ، ومددت أعمارهم وأكثرت نعمهم فشغلتهم النعم

والمترف والشهوات ، فأطاعوا الشيطان ونسوا كلمة التوحيد ، فخرت على سنتى أن  
أجعل فى بنى إبراهيم من يوحد الله ويدعو من كفر منهم إلى الإيمان ، فاخترت  
محمدا وأنزلت معه الكتاب ليدعو هؤلاء إلى مافيه صلاحهم فى دينهم ودنيائهم ،  
وسعادتهم فى آخرتهم وأولاهم .

ثم ونجهم على إعراضهم عما جاء به من الحق وعدم النظر فيه فقال :  
( ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وإنا به كافرون ) أى ولما جاءهم القرآن  
والرسول الصادق بما معه من المعجزات قالوا إن ما جاءنا به سحر وليس يوحى من  
عند الله وإنا به جاحدون ، فضماموا إلى شركهم معاندة الحق والاستخفاف به . .  
ثم ذكر ضربا آخر من كفرهم بقوله :

( وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ) أى وقالوا إن  
منصب الرسالة منصب شريف ، فلا يليق إلا برجل شريف كثير المال عظيم الجاه ،  
ومحمد ليس بذلك ، فمن الحق أن يسند هذا المنصب إما للوليد بن المغيرة بمكة أو عروة  
ابن مسعود الثقفى بالطائف .

فأنكر الله عليهم ذلك وجهلهم وعجب من حالهم بقوله :  
( أَمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ ) أى عجباً لهم كيف جهلوا قدر أنفسهم ؟ أو قد بلغ  
من أمرهم أن يصطفوا من يشاءون للنبوة التى لا يصلح لها إلا من بلغ مرتبة روحانية  
خاصة ، وكان ذا فضائل قدسية وكالات خلقية ، مستهيناً بالزخارف الدنيوية التى  
انغمسوا فيها ؟ فهم ليسوا لها بأهل فضلا عن أن يهبوها لمن يشاءون .

ثم بين خطأهم فى طلب الاصطفاء على حسب ما يهوون فقال :  
( نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات  
ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ) أى إننا فى هذه الحياة فضلنا بعض العباد على بعض  
فى الغنى والفقر والقوة والضعف والعلم والجهل والشهرة والخلو ، لأننا لو سويتنا بينهم

فيها لم يخدم بعضهم بعضا ولم يسخر أحد غيره ، وذلك مما يفضى إلى خراب العالم وفساد الدنيا ، ولم يستطع أحد أن يغيّر نظامنا ولا أن يخرج عن حكن .  
وإذا كانوا قد عجزوا عن ذلك في أحوال الدنيا فكيف يعترضون علينا في منصب الرسالة ؟

وقصارى ذلك — إنا قسمنا بينهم أرزاقهم ، أفلا ينعون بقسمتنا في أمر النبوة وتفويضها إلى من نشاء من خلقنا ؟  
ثم علل ماسلف بقوله :

( ورحمة ربك خير مما يجمعون ) أى ورحمة ربك وفضله بالنبوة وما يتبعها من وحى وكتاب ينزل ، خير مما يجمعون من حطام الدنيا ، فالدنيا على شفا جرف هار ، ومظاهرها فانية لاقيمة لها ، فهو قد أغدقها على الدواب والأنعام وكثير من جهلة بنى آدم .

ثم بين حقارة الدنيا وخستها بقوله :

( ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة وممارج عليها يظهرون . ولبيوتهم أبوابا وسرا عليها يتكئون . وزخرفا ) أى ولولا أن يعتقد كثير من الجهلة أن إعطاءنا المال للكفار دليل على محبةنا لمن أعطيناه ، فيجتمعوا على الكفر و يرغبوا فيه إذا رأوا سعة الرزق عندهم — لجعلنا لبيوتهم سقفا من فضة ومصاعد من فضة وسرا من فضة عليها يتكئون ، وزينة في كل ما يُرْتَفَق به من شئون الحياة .

ثم بين أن هذه المتعة قصيرة الأمد سريعة الزوال فهي متاع الحياة الفانية فقال :  
( وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين ) أى وما كل ذلك إلا متاع قصير زائل ، والآخرة بما فيها من ضروب النعيم التى لا يحيط بها عد ولا إحصاء — أعدها الله لمن اتقى الشرك والمعاصى وعمل بطاعته وآثر الآخرة على الدنيا .

أخرج الترمذی وابن ماجه عن سهل بن سعد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ماسقى كافرا منها شربة ماء». وكذلك لو أعطيت هذه النعم والسرر والأبواب المصنوعة من الذهب والفضة المؤمنين ، حتى ليصير الناس كلهم هكذا ، لأخلفت بالمقصود من الإيمان ، لأن الترف والنعم يحجب العقول عن عالم الروحانيات وبارق العقلى ، فقل من يتخلص من شرك هذه الآفات ، فالشهوات والزينة والزخارف للعقول أشبه بالقاذورات للأجسام ، والأجسام القذرة يحوم حولها الذباب فيلحق فيها بيوضه لتفترخ في القروح والعيون ويخرج ذباب يعيش من تلك القاذورات ، وهكذا النفوس الضعيفة تعيش فيها النفوس المائلة لها من عالم الشياطين وتلقى إليها بذور الفساد ، فتزرع فيها وتحصدها النفوس خزيا وعارا في الدنيا والآخرة وهذا ما أشار إليه سبحانه بقوله :

وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ تَقِيضُ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ (٣٦)  
وَالنَّهْمُ لِيَصُدُّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ (٣٧) حَتَّى إِذَا جَاءَنَا  
قَالَ يَالَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ (٣٨) وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ  
الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ (٣٩) أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ  
أَوْ تَهْدِي الْعُمْى وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٤٠) فَأَمَّا نَذَاهِبٌ بِكَ فَإِنَّا  
مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ (٤١) أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ (٤٢)  
فَاسْتَمْسِكْ بِاللَّيْلِ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٤٣) وَإِنَّهُ  
لَدِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ (٤٤) وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ  
مِنْ رُسُلِنَا ، أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ (٤٥) .

## شرح المفردات

يقال عَشِيَ فلان كَرَضِيَ إذا حصلت له آفة في بصره ، وعشا : كغزا إذا نظر  
نظر العشي لعارض قال الحطيئة في المحلق الكلابي :

مَتَى تَأْتَهُ تَعْشُو إِلَى ضَوْءِ نَارِهِ      تَجْدُ خَيْرَ نَارٍ عِنْدَهَا خَيْرُ مَوْقِدٍ

أى تنظر إليها نظر العشى لما يضعف بصره من كثرة الوقود واتساع الضوء ،  
فالمراد هنا أنه يتعاضى عن ذكر الله ، نقيض له : أى نهى له ونضم إليه ، والقرين :  
الرفيق الذى لا يفارق ، والمشرقين : أى المشرق والمغرب ، وكثيرا ما تسمى العرب  
الشيثيين المتقابلين باسم أحدهما ، قال الفرزدق :

أَخَذْنَا بِأَفَاقِ السَّمَاءِ عَلَيْكُمْ      لَنَا قَرَاهَا وَالنَّجُومُ الطَّوَالِعُ

يريد الشمس والقمر ، وبعد المشرقين : أى بعد أحدهما من الآخر ، فإما نذهبن  
بك : أى فإن قبضناك وأمتناك ، لذكر : أى لشرف عظيم ، تسألون : أى عن قيامكم  
بما أوجبه القرآن عليكم من التكليف من أمر ونهى .

## المعنى الجملى

بعد أن بين أن المال متاع الدنيا وهو عرض زائل ، ونعيم الآخرة هو النعيم  
الدائم الذى أعده الله للمعتقين — ذكر هنا أن من فاز بالمال والجاه صار كالأعشى  
عن ذكر الله وصار من جلساء الشياطين الضالين المضلين الذين يصدونه عن السبيل  
القويم ، ويظن أنه مهتد ، لأنه يتلقى من الشياطين ما يلائم أخلاقه ، فيألفه ولا ينكره  
ثم ذكر أنه إذا جاء يوم القيامة تبرأ الكافر من الشيطان قرينه وقال له : ليت بينى  
وبينك بُعد ما بين المشرقين ، ثم أعقب هذا ببيان أن اشتراك الكافر مع قرينه  
الشيطان فى العذاب لا يخفف عنه شيئا منه ، لاشتغال كل منهما بنفسه .

ثم ذكر لرسوله أن دعوته لا تؤثر فى قلوبهم ، ولما تجديهم المواعظ ، فإذا



أصعقتهم القرآن كانوا كالصم ، وإذا أريتهم معجزاتك كانوا كالعمى ، وإنما كانوا كذلك لضلالهم المبين ؛ ثم سلى رسوله وبين له أنه لا بد أن ينتقم منهم إما حال حياته أو بعد موته ، ثم أمره أن يستمسك بما أمره الله به ، فيعمل بموجبه فإنه الصراط المستقيم النافع في الدين والدنيا وفيه الشرف العظيم له ولقومه ، وسوف يسألون عما قاموا به من التكاليف التي أمرهم بها ، ثم أرشد إلى أن بغض الأصنام وبغض عبادتها جاء على لسان كل نبي ، فمحمد صلى الله عليه وسلم ليس بدعا من بينهم في الإنكار عليها حتى يعارض ويبغض .

### الإيضاح

( ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين ) أى ومن يتعام عن ذكر الله وينهمك في لذات الدنيا وشهواتها نسلط عليه شياطين الإنس والجن يزنيون له أن يرتع في الشهوات ، ويبلغ في اللذات ، فلا يألو جهدا في ارتكاب الآثام والمحرمات على ما جرت به سنتنا الكونية ، كما نسلط الذباب على الأجسام القذرة ونحق الحيات والعقارب والحشرات في الحال العفنة ، لتلطف الجو وترحم الناس والحيوان ، وهكذا النفوس الموسوسة للضعفاء توقعهم في الذنوب لاستعدادهم لها ، فينالون جزاءهم من عقاب الله وعقوبات البشر واحتقارهم لهم ، إلى ما ينالهم من الأمراض الفتاكة والأدواء التي لا يجدى فيها علاج ، فيكون ذلك عبرة لهم ولغيرهم وأئني لهم أن تنفعهم تلك الذكرى فقد فات الأوان ، ولا ينفع الندم على فائت :

ندم البقاة ولات ساعة مندم والبعى مرّنع مبتغيه وخيم

قال الزجاج : معنى الآية — إن من أعرض عن القرآن وما فيه من الحكم إلى أباطيل المضلين — يعاقبه الله بشيطان يقيضه له حتى يضلّه ، ويلزمه قرينا له فلا يهتدى ، مجازاة له حين آثر الباطل على الحق المبين .

أخرج ابن أبي حاتم عن محمد بن عثمان الخزمي : أن قريشا قالت قيسوا لكل رجل من أصحاب محمد رجلا يأخذه ، فقيضوا لأبي بكر طلحة بن عبيد الله ، فأتاه وهو في القوم فقال أبو بكر : إلام تدعوني ؟ قال : أدعوك إلى عبادة اللات والعزى قال أبو بكر وما اللات ؟ قال : أولاد الله ، قال : وما العزى ؟ قال : بنات الله ، قال أبو بكر : فمن أمهم ؟ فسكت طلحة فلم يجبه ، وقال لأصحابه أجيئوا الرجل ، فسكت القوم ، فقال طلحة : قم يا أبا بكر أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، فأنزل الله هذه الآية ، وثبت في صحيح مسلم وغيره أن مع كل مسلم قرينا من الجن .

( ولإنهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون ) أى وإن هؤلاء الشياطين الذين يقيضهم الله لكل من يعشو عن ذكر الرحمن ليحولن بينهم وبين سبيل الحق ، ويوسوسن لهم أنهم على الجادة وسواهم على الباطل ، فيطيئهم ويكرهن إليهم الإيمان بالله والعمل بطاعته .

ثم ذكر حال الكافر مع القرين يوم القيامة فقال :

( حتى إذا جاءنا قال ياليت بينى وبينك بعد المشرقين فبئس القرين ) أى حتى إذا وافى الكافر يوم القيامة إلينا وعرض عليها عرض عن قرينه الذى وكل به وتبرأ منه وقال : ليت بينى وبينك بعد ما بين المشرق والمغرب ، فبئس القرين أنت أيها الشيطان ، لأنك قد أضللتنى وأوصلتني إلى هذا العذاب المهين ، وانخرى الدائم ، والعيش الضنك ، والحل المقص المضجع .

ثم حكى ماسيقال لهم حينئذ توبيخا وتأنيبا فقال :

( ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنكم في العذاب مشتركون ) أى ولن ينفعكم في هذا اليوم اشتراككم في العذاب أنتم وقرناؤكم ، كما كان ينفع في الدنيا الاشتراك في المهام الدنيوية ، إذ يتعاونون في تحمل أعبائها ، ويتقاسمون شدتها وعناءها ، فإن لكل منهم من العذاب ما لا تبلغه طاقته ، ولا قدرة له على احتماله .

وفد يكون المعنى — وإن ينفعكم ذلك من حيث التأسي ، فإن المكروب  
فى الدنيا يتأسى ويستروح بوجوده المشارك فى البلوى ، فيقول أحدهم لى فى البلاء  
والمصيبة أسوة ، فيسكن ذلك من حزنه كما قالت الخنساء ترى أخاها صخرًا :

يذكرنى طلوع الشمس صخرًا وأذكره بكل مغيب شمس  
فلولا كثرة الباكين حولى على إخوانهم لقتات نفسى  
وما يكون مثل أخى ولكن أعزى النفس عنه بالتأسي

وقصارى ذلك — إنه لا يخفف عنهم بسبب الاشتراك شىء من العذاب ،  
إذ اسكل منهم الحظ الأوفر منه .

وقد يكون المعنى — وإن ينفعكم اليوم الاعتذار والندم ، فأنتم وقرناؤكم  
مشترون فى العذاب ، كما كنتم مشتركين فى سببه فى الدنيا .

وقد وصفهم فيما سلف بالقسوى ووصفهم هنا بالعمى والصمم ، من قبيل أن الإنسان  
لاشتغاله بالدنيا يكون كمن حصل بعينه ضعف فى البصر ، وكلما زاد انهماكه بها  
كان ميله إلى الجسمانيات أشد وإعراضه عن الروحانيات أكمل فقل :

( أفأنت تسمع الصم أو تهدى العمى ومن كان فى ضلال مبين ؟ ) أى أفأنت  
تسمع من قد سلهم الله استماع حججه التى ذكرها فى كتابه ، أو تهدى إلى طريق  
الحق من أعمى قلوبهم عن إبصارها ، واستحوذ عليهم الشيطان فزى لهم طريق  
الردى .

والخلاصة — إن ذلك ليس إليك ، إنما ذلك إلى من بيده تصريف القلوب  
وتوجيهها أنى شاء ، فمليك البلاغ وعينا الحساب .

وقد كان صلى الله عليه وسلم يبائع فى دعاء قومه إلى الإيمان وهم لا يزيدون  
إلا غيًّا وتعاميًا عما يشاهدون من دلائل النبوة ، وتصائمًا عما يسمعون من  
بينات القرآن .

وبعد أن أياسه من إيمانهم سلاه بالانتقام منهم لأجله إما حال حياته أو بعد مماته فقال :

( فإما نذهب بك فإنا منهم منتقمون . أو نرينك الذي وعدناهم فإنا عليهم مقتدرون ) أى فإن نذهب بك أيها الرسول من بين أظهر المشركين بموت أو غيره فإنا منهم منتقمون كما فعلنا ذلك بغيرهم من الأمم المكذبة لرسولها ، أو نرينك الذي وعدناك من الظفر بهم وإعلانك عليهم فإنا عليهم مقتدرون ، فنظرك عليهم ونخزيهم بيدك وأيدي المؤمنين .

وفى التعبير بالوعد وهو سبحانه لا يخلف الميعاد — إشارة إلى أن ذلك سيقع حتما وهكذا كان ، فإنه لم يقبض رسوله حتى أقر عينيه من أعدائه ، وحكمه فى نواصيهم وملكه ماتضمنته صياصيمهم ، قاله السدى واختاره ابن جرير .

ثم أمر رسوله أن يستمسك بما أوحى به إليه فيعمل به فقال :  
( فاستمسك بالذى أوحى إليك ، إنك على صراط مستقيم ) أى خذ بالقرآن المنزل على قلبك ، فإنه هو الحق المفضى إلى الصراط المستقيم ، والموصل إلى جنات النعيم ، والخير الدائم المقيم .  
ثم ذكر ما يستحقه على التمسك به فقال :

( وإنه لذكر لك ولقومك ) أى وإن القرآن لشرف عظيم لك ولقومك ، لأنه نزل بلفتهم على رجل منهم فهم أفهم الناس له ، فينبغى أن يكونوا أسبق الناس إلى العمل به .

أخرج الطبرانى وابن مردويه عن عدى بن حاتم قال : « كنت قاعدا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال : ألا إن الله تعالى علم ما فى قلبى من حبه لقومى فبشرنى فيهم فقال سبحانه : وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ » الآية . فجعل الذكر والشرف لقومى — إلى أن قال — فالحمد لله الذى جعل الصديق من قومى والشهيد من قومى ،

وإن الله قلب العباد ظهرا و بطن ، فكان خير العرب قريش وهى الشجرة المباركة «  
ثم قال عدى ما رأيت رسول الله ذكرت عنده قريش بخير إلا سره حتى يتبين ذلك  
السرور فى وجهه للناس كلهم اه .

ونظير الآية قوله فى سورة الأنبياء «لَقَدْ أُنزِلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ»  
أى شرفكم ، فالقرآن نزل بلسان قريش وإياهم خاطب ، فاحتاج أهل اللغات كلها  
إلى لسانهم وصاروا عيالاً عليهم ، حتى يقفوا على معانيه من أمر ونهى ونبا وقصص  
وحكمة وأدب .

روى الترمذى عن معاوية رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله  
عليه وسلم يقول : « إن هذا الأمر فى قريش لا يمتازعهم فيه أحد إلا أكبه الله تعالى  
على وجهه ما أقاموا الدين » .

وفى الآية إيماء إلى أن الذكر الجليل والثناء الحسن أمر مرغوب فيه ، ولولا ذلك  
ما امتن الله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم به ، ولما طلبه إبراهيم عليه السلام بقوله :  
« وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ » وقال ابن دريد :

وإنما المرء حديث بعده فكن حديثا حسنا لمن وعى  
وقال المتنبي :

ذكر الفتى عمره الثانى وحاجته ماقاته وفضول العيش أشغال  
( وسوف تستلون ) عن حقه وأداء شكر النعمة فيه .

وخلاصة ماسلف — إن القرآن نزل بلغة العرب وقد وعد الله بنشر هذا الدين  
وأبناء العرب هم العارفون بهذه اللغة ، فهم الملمون بنشرها ونشر هذا الدين للأمم  
الأخرى ، فمتى قصرُوا فى ذلك أذلهم الله فى الدنيا وأدخلهم النار فى الآخرة ، فعسى  
أن يقرأ هذا أبناء العرب ويعلموا أنهم هم المعلنون للأمم ، فينشروا هذا القرآن  
ويكتبوا المساحف باللغة العربية ، ويضعوا على هوامشها تفاسير بلغات مختلفة  
كالإنجليزية والألمانية والروسية حتى تعرف الأمم كلها هذا الدين معرفة حقة خالية

من الخرافات التي ألصقها به المبتدعون، ويعود سيرته الأولى، وما ذلك على الله بعزيز.  
ثم ونح مشركي قريش بأن ما هم عليه من عبادة الأصنام لم يأت في شريعة  
من الشرائع فقال :

(واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا، أ جعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون)  
أى واسأل أمم من أرسلنا من قبلك من الرسل : هل حكمنا بعبادة غير الله ؟ وهل  
جاء ذلك في ملة من الملل ؟ والمراد بهذا الاستشهاد ببيان إجماع المرسلين على التوحيد  
والتنبيه إلى أن محمدا صلى الله عليه وسلم ليس ببدع من بين الرسل في الأمر به ، حتى  
يكذب ويعادى له .

وقصارى ذلك — إن الرسل جميعا دعوا إلى مادعا إليه من عبادة الله وحده  
لا شريك له ، ونهوا عن عبادة الأصنام .

ونحو الآية قوله : « وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا  
الطَّاغُوتَ » .

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ  
رَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٦) فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ (٤٧)  
وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ  
يَرْجِعُونَ (٤٨) وَقَالُوا يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّنَا  
لَمُهْتَدُونَ (٤٩) فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ (٥٠) وَنَادَى  
فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي  
 مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ؟ (٥١) أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ

وَلَا يَسْكَدُ يَبِينُ (٥٢) فَلَوْلَا أَلْبَقِيَ عَلَيْهِ أَسْوَرَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ  
 الْمَلَائِكَةُ مُقَرَّرِينَ (٥٣) فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ ، إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا  
 فَاسِقِينَ (٥٤) فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ (٥٥) فَجَعَلْنَاهُمْ  
 سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ (٥٦) .

### شرح المفردات

الآيات : هى المعجزات ، وملئه : أى أشراف قومه ، أخذناهم : أى أخذ قهر  
 بالعذاب فأرسلنا عليهم الجراد والقمل والضفادع ، الساحر : أى العالم الماهر ، بما عهد  
 عندك : أى بما أخبرتنا من عهده إليك أنا إذا آمننا كشف عنا العذاب الذى نزل  
 بنا ، ينكثون : أى ينقضون العهد ، من تحتى : أى من تحت قصرى وبين يديّ  
 فى جناتى ، مهين : أى ضعيف حقير ، يبين : أى يفصح عن كلامه . قال ابن عباس  
 كانت بموسى لثغة فى لسانه ( واللثغة بالضم : أن تصير الرأ غينا أو لاما والسين ثاء  
 وقد لثغ من باب طرب فهو ألثغ ) ، والأسورة : واحدها سوار كأخمرة وخمار ، قال  
 مجاهد : كانوا إذا سؤدوا رجلا سؤروه بسوارين وطوقوه بطوق من ذهب علامة  
 سيادته ، مقترنين : أى مقرونين به يعينونه على من خالفه ، فاستخف قومه : أى  
 استخف عقولهم فدعاهم إلى الضلال فاستجابوا له ، آسفونا : أى أغضبونا وأسخطونا .  
 قال الراغب : الأسف الحزن والغضب معا ، وقد يقال لكل منهما على الانفراد .  
 وحقيقته ثوران دم القلب شهوة الانتقام ، فتى كان ذلك على من دونه انتشر فصار  
 غضبا ، ومتى كان على من فوقه انقبض فصار حزنا ، سلفا : أى قدوة لمن بعدهم من  
 الكفار ، مثلا : أى حديثا عجيب الشأن يسير مثيل المثل فيقول الناس مثلكم  
 مثل قوم فرعون .

## المعنى الجملى

بعد أن ذكر أن كفار قريش طعنوا فى نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لكونه فقيرا عديم المال والجاه — بين هنا أن موسى بعد أن أورد المعجزات الباهرة أورد فرعون هذه الشبهة التى ذكرها كفار قريش فقال : إني غنى كثير المال عظيم الجاه ، فلى ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي ، وموسى فقير مهين وليس له بيان ولا لسان ، وهذا شبيه بما قاله كفار قريش .

وأىضا فإنه لما قال : واسأل من قد أرسلنا من قبلك من رسلنا — ذكر هنا قصة موسى وعيسى عليهما السلام وهما أكثر الأنبياء أتباعا وقد جاءا بالتوحيد ولم يكن فيما جاءا به إباحة اتخاذ آلهة من دون الله .

ثم ذكر سبحانه أن فرعون قال : هلا أتى إلى موسى مقاليد الملك فطوق بسوار من ذهب إن كان صادقا ، زعما منه أن الرياسة من لوازم الرسالة ، أو جاء معه جمع من الملائكة يعينونه على من خالفه ، وأعقب هذا بأن ذكر أنه حين دعا قومه إلى تكذيب موسى فى دعواه الرسالة أطاعوه لضلالتهم وغوايتهم ، ولما لم تجد فيهم المواعظ غضبنا وانتقمنا منهم وجعلناهم قدوة للكافرين ، وضربنا بهم الأمثال للناس ليكونوا عبرة لهم .

## الإيضاح

(واقدا أرسلنا موسى بآياتنا إلى فرعون وملئه فقال إني رسول رب العالمين) أى ولقد بعثنا موسى ومعه حججه الدالة على صدقه إلى فرعون وأشراف قومه ، كما أرسلناك إلى هؤلاء المشركين من قومك ، فقال لهم : إني رسول من قبل الله إليكم ، كما قلت أنت لقومك : إني رسول الله إليكم .



فطالبوه بإحضار البينة على صدق دعواه كما يدل على ذلك قوله :  
 ( فلما جاءهم بآياتنا إذا هم منها يضحكون ) أى فلما جاءهم بالأدلة على صدق قوله  
 فيما يدعومهم إليه من توحيد الله وترك عبادة الآلهة — إذا فرعون وقومه يضحكون  
 من تلك المعجزات ، كما أن قومك يسخرون مما جئتكم به .  
 وفى هذا نسلية لرسوله عما كان يلقاه من قومه المشركين ، وإعلام له بأن قومه  
 لن يعدوا أن يكونوا كسائر الأمم الذين كانوا على مناهجهم فى الكفر بالله وتكذيب  
 رسله ، ونذبت منه له أن يستن بسنة أولى العزم من الرسل فى الصبر على أذى  
 أقوامهم وتكذيبهم لهم ، وإخبار بأن عقبي أمرهم المهلاك كسنته فى الكافرين قبلهم ،  
 وظفره بهم ، وعلو أمره كما فعل بموسى عليه السلام وقومه الذين آمنوا به من  
 أظهروهم على فرعون وملئه .

( وما نريهم من آية إلا هى أكبر من أختها ) أى وما أرينا فرعون وملئه  
 حجة من حججنا الدالة على صدق رسولنا فى دعواه الرسالة إلا كانت أعظم من  
 سابقتها فى الحجية عليهم ، وآكد فى الدلالة على صحة ما يأمر به من توحيد الله ،  
 ومعنى الأخوة بين الآيات تشاكلها وتناسبها فى الدلالة على صحة نبوة موسى كما يقال  
 هذه صاحبة هذه أى هما قرينتان فى المعنى .

ثم بين ماجوزوا به على تكذيبهم فقال :  
 ( وأخذناهم بالعذاب ) أى وأنزلنا عليهم ألوانا من العذاب كنقص الثمرات  
 والجراد والقمل والضفادع .

ثم بين العلة فى أخذه لهم بذلك وهو رجاء رجوعهم فقال :  
 ( لعلمهم يرجعون ) أى لى يرجعوا عن الكفر إلى الإيمان بالله وطاعته  
 والتوبة مما هم عليه مقيمون من المعاصى .

ولما عاينوا ما جاءهم به من الآيات البينات ، والدلالات الواضحات — ظنوا أن  
 ذلك من قبيل السحر .

( وقالوا يا أيها الساحر ) أى وقالوا يا أيها العالم الماهر وكانوا يسمون العلماء سحرة ويوقرونهم ويعظمونهم ولم يكن السحر صفة ذم عندهم .

وقد يكونون نادوه بذلك فى تلك الحال ، لشدة شكيمتهم ، وفرط حماقتهم .  
( ادع لنا ربك بعهده عندك ) أى ادع لنا ربك ليكشف عنا العذاب بما أخبرتنا من عهده إليك ، أنا إن آمنا به كشفه عنا .

( إننا لمهتدون ) أى إننا المؤمنون بما جئت به إن حدث ذلك .  
ونحو ذلك ما جاء فى سورة الأعراف من قولهم : « لَنَنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرَّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ » .

ثم بين ما حدث منهم بعد دعوة موسى وكشف العذاب فقال :  
( فلما كشفنا عنهم العذاب إذا هم ينكثون ) أى فعدا ربهم فكشفه عنهم فلم يؤمنوا ونقضوا العهد ، وقد كان هذا ديدنهم مع موسى ، يعدونه فى كل مرة أن يؤمنوا به إذا كشف عنهم الرجز ثم ينقضون ما عاهدوا الله عليه .

ونحو الآية ما جاء فى سورة الأعراف من قوله : « فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجُرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ . وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرَّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَنَنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرَّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ . فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرَّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بِالْعَوَةِ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ » .

ثم أخبر سبحانه عن تمرد فرعون وعتوه وعناده فقال :  
( ونادى فرعون فى قومه قال : يا قوم أليس لى ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي ) أى إنه جمع قومه ونادى فيهم متبجحا مفتخرا بملك مصر وتصرفه فيها وجرى الأنهار المنبثقة من نهر النيل تحت قصوره وتحت جنانه وضياعه .

نم أ كد هذا بقوله :

( أفلا تبصرون ؟ ) ذلك وتستدلون به على قوة ملكي وعظم قدرى وضعف موسى عن مقاومتي لما فيه من فقر وعي وحصر .

( أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين ) أى بل أنا ولا شك خير بما لى من السعة فى المال والجاه والملك العريض — من هذا المهين الحقير الذى لا يكاد يفصح عما يريد ، إذ كان فى لسانه حُبسة فى صغره فعابه بها ، وهو لا يعلم أن الله استجاب سؤله حين قال : « وَاخْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي . يَفْقَهُوا قَوْلِي » فخل عقدة لسانه كما جاء فى قوله : « قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى » .

قال الحسن البصرى : إنه قد بقى منها شيء لم يسأل زواله ، وإنما سأل زوال ما يمنع الإبلاغ والإفهام اه .

والأشياء الخلقية لا يعاب المرء بها ولا يذم ، لكنه أراد الترويح على رعيته وصدمه عن الإيمان به .

ونحو الآية قوله : « كَخَشَرَ فَنَادَى . فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى . فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى » .

ثم ذكر شبهة مانعة له من الرياسة وهى أنه لا يلبس بنس الملوك ، فلا يكون رئيسا ولا رسولا لتلازمهما فى زعمه فقال :

( فلولا ألقى عليه أسورة من ذهب ) أى فهلا ألقى رب موسى عليه أساور من ذهب إن كان صادقا كما جرت عادتهم بذلك ، وهذا شبيه بما قال كفار قريش فى عظيم القريتين .

ثم ذكر شبهة أخرى وهى أنه ليس له خدم من الملائكة تعينه فقال :

( أو جاء معه الملائكة مقترنين ) أى هلا جاء معه الملائكة متتابعين متقارنين إن كان صادقا ، يعينونه على أمره ويشهدون له بالنبوة ويمشون معه ، كما نفعل نحن

إذا أرسلنا رسولا في أمرهم يحتاج إلى دفاع ، وفيه خصام ونزاع — وهو بهذا أوهم قومه أن الرسل لابد أن يكونوا على هيئة الجبابة ، أو يكونوا مخوفين بالملائكة . ثم ذكر أن هذه الخدع قد انطلت عليهم ، وسحرت ألبابهم ، أغفلتهم وضعف عقولهم ، فاعترفوا برؤيته وكذبوا بنبوة موسى فقال :

( فاستخف قومه فأطاعوه إنهم كانوا قوما فاسقين ) أى فاستخف أحلامهم بقوله وكيد ، وبما أبداه من عظمة الملك والرياسة ، وجعلها مناطا للعلم والنبوة ، وأنه لو كانت هناك نبوة لكان أولى بها ، فأطاعوه فيما أمرهم ، لأنهم كانوا قوما ذوى ضلال وغى ، ومن ثم أسرعوا إلى تلبية دعوة ذلك الفاسق الغوى . ثم ذكر جزاءهم على ما اجترحوا من تكذيب رسوله على وضوح الدليل وظهور الحق فقال :

( فلما آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين ) أى فلما أغضبونا بعنادهم وعظيم استكبارهم وبغيهم فى الأرض — انتقمنا منهم بعاجل عذابنا فأغرقناهم جميعا . وإنما أهلكوا بالفرق ليكون هلاكهم بما تعزوا به وهو الماء فى قوله : « وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي » :

وفى هذا إشارة إلى أن من تعزز بشيء دون الله أهلكه الله به . أخرج أحمد والطبرانى والبيهقى فى الشعب وابن أبى حاتم عن عقبة بن عامر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إِذَا رَأَيْتَ اللَّهَ يُعْطِي الْعَبْدَ مَا شَاءَ وَهُوَ مُقِيمٌ عَلَى مَعَاصِيهِ ، فَإِنَّمَا ذَلِكَ اسْتِدْرَاجٌ مِنْهُ لَه ، وَقُرْأُ : ( فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ) » .

( فجعلناهم سلفا ) أى فجعلناهم قدوة لمن يعمل عملهم من أهل الضلال ككفار قومك .

( ومثلا للآخرين ) أى وعبرة وموعظة لمن يأتى بعدهم من الكافرين .

وَلَمَّا ضَرَبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ (٥٧) وَقَالُوا  
 آلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ، مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ (٥٨)  
 إِنَّ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ (٥٩) وَلَوْ نَشَاءُ  
 لَجَعَلْنَاهُ مِنْكُمْ مَلَأِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ (٦٠) وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ  
 فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (٦١) وَلَا يَصُدَّنَّكُمْ  
 الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (٦٢) وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ  
 جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلَفُونَ فِيهِ ، فَاتَّقُوا  
 اللَّهَ وَأَطِيعُوا (٦٣) إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ، هَذَا صِرَاطٌ  
 مُسْتَقِيمٌ (٦٤) فَاخْتَلَفُ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ  
 عَذَابٍ يَوْمَ الْيَمِّ (٦٥) هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ  
 لَا يَشْعُرُونَ (٦٦) .

### شرح المفردات

مثلا : أى حجة وبرهانا ، يَصِدُّونَ ( بكسر الصاد ) أى يصيحون ويرتفع لهم  
 صخب و فرح ، جدلا : أى خصومة بالباطل ، خصمون : أى شديدي الخصومة  
 مجبولون على اللجاج وسوء الخلق ، مثلا : أى أمرا عجيبا ، منكم : أى من بعضكم ،  
 يَخْلُقُونَ : أى يَخْلُقُونَكُمْ فى الأرض ، علم : أى علامة و شرط من أشراتها ، فلا تَمْتَرُنَّ :  
 أى فلا تشكَّنَّ ، البينات : المعجزات ، الحكمة : الشرائع المحكمة التى لا يستطاع  
 نقضها ولا إبطالها .

## المعنى الجملى

روى محمد بن إسحاق فى السيرة « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جلس يوما فى المسجد مع الوليد بن المغيرة ، فجاء النضر بن الحارث وجلس معهم وفى المسجد غير واحد من رجال قريش ، فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرض له النضر فكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أخفه ، ثم تلا عليهم : ( إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ) الآيات ، ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم . وأقبل عبد الله بن الزبير التميمي وجلس فقال له الوليد بن المغيرة : والله ما قام النضر بن الحارث لابن عبد المطلب وما قعد ، وقد زعم محمد أنا وما نعبد من آلهتنا هذه حصب جهنم . فقال ابن الزبير : أما والله لو وجدته لخصمته . سلوا محمدا ، أكل ما يعبد من دون الله فى جهنم مع من عبده ؟ فتحن نعبد الملائكة ، واليهود تعبد عزيرا ، والنصارى تعبد المسيح عيسى بن مريم ، فعجب الوليد ومن كان معه فى المجلس من قول عبد الله بن الزبير ، ورأوا أنه قد احتج وخاصم ، فذكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : كل من أحب أن يعبد من دون الله فهو مع من عبده ، فإنهم إنما يعبدون الشيطان ومن أمرهم بعبادته وأنزل الله عز وجل ( إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ) أى عيسى وعزير ومن عبد معهما ، فاتخذهم من بعدهم ، من أهل الضلال أربابا من دون الله ، ونزل فيما يذكر من أمر عيسى عليه السلام وأنه يعبد من دون الله ( وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مِثْلًا لِّلآيَةِ ) . »

## الإيضاح

(ولما ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يصدون) أى ولما ضرب ابن الزبير عيسى بن مريم مثلا وجادل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعبادة النصارى له ، إذا

قومك من هذا المثل يرتفع لهم ضجيج وجلبة فرحا وسرورا كما يرتفع لفظ القوم ولجهم إذا أعيوا في حجة ثم فتمحت عليهم .

وقد روى أن عبد الله بن الزبيري قبل إسلامه قال للنبي صلى الله عليه وسلم وقد سمعه يقول : « إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ » أليس النصارى يعبدون المسيح وأنت تقول كان نبيا وعبدًا صالحًا ، فإن كان في النار فقد رضىنا أن نكون نحن وآلهتنا معه ، ففرح قريش وضحكوا وارتفعت أصواتهم .

( وقالوا أآلهتنا خير أم هو؟ ) أى إن آلهتنا ليست خيرا من عيسى ، فإذا كان عيسى من حصب جهنم كان أمر آلهتنا أهون .

( ماضربوه لك إلا جدلا بل هم قوم خصمون ) أى ماضربوا لك المثل إلا لأجل الجدل والغلبة في القول لا لإظهار الحق ، فإن قوله : « إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ » إنما ينطبق على الأصنام والأوثان ولا يتناول عيسى والملائكة ، ولكنهم قوم ذوو لَدَدٍ وفي الخصومة محبوبون على سوء الخلق واللجاج .

قال صاحب الكشف : إن ابن الزبيري بخبته وخداعه وخبث دخلته لما رأى كلام الله ورسوله محتملا لفظه وجه العموم مع علمه بأن المراد به أصنامهم لا غير - وجد للحيلة مساعدا فصرف معناه إلى الشمول والإحاطة بكل معبود غير الله ، على طريقة الحُكِّ والجدال وحب المغالبة والمكابرة وتوقُّح في ذلك ، فتوقَّر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أجاب عنه ربه بقوله : « إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ » فدل به على أن الآية خاصة في الأصنام اه .

أخرج سعيد بن منصور وأحمد في جملة عن أبي أمامة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ماضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل ، ثم تلا هذه الآية » .

ثم بين أن عيسى عبد من عبيده الذين أنعم عليهم بقوله :  
( إن هو إلا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلاً لى إسرائيل ) أى ماعيسى بن مريم

لا عبد أنعمنا عليه بالنبوة وروادفها ، فهو رفيع الميزة دلى "القدر" ، وقد جعلناه آية بأن خلقناه من غير أب وشرفناه بالنبوة وصيرناه عبدة سائرة تفتح للناس باب التذكر والفهم ، وإلست مخالفة العادة بموجبة لعبادته كما يزعم النصارى ، بل مذكرة بعبادة الخالق الحكيم .

( ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة فى الأرض يخلفون ) أى ولو نشاء لجعلنا ذريتك ملائكة يخلفونكم فى الأرض كما يخلفكم أولادكم ، كما خلقنا عيسى من أنثى بلا ذكر وجعلناه رجلا .

وقد يكون المعنى على التهديد والتخويف لقريش ويكون المراد — لو نشاء لأهلكناكم وجعلنا بدلـكم فى الأرض ملائكة يعمرونها ويعبدوننا .

والخلاصة — إننا لو نشاء لجعلنا فى الأرض عجائب كأمر عيسى بحيث يلد الرجل ملكا فيخلفه ، فباب العجائب والنظم لا حد له عندنا ، فكم من نواميس خافية عليكم بيدنا تصريفها .

( وإنه لعلم للساعة فلا تمترن بها واتبعون هذا صراط مستقيم ) أى وإن القرآن يعلمكم بقيام الساعة ويخبركم عنها وعن أهوالها ، فلا تشكَّنَّ فيها واتبعوا هداى ، فهذا الذى أدعوكم إليه هو الصراط المستقيم الذى لا عوج فيه وهو الموصل إلى الحق .

( ولا يصدنكم الشيطان ) أى ولا تغتروا بوساوس الشيطان وشبهه التى يوقمها فى قلوبكم ، فيمنعكم ذلك عن اتباعى ، فإن الذى دعوتكم إليه هو دين الله الذى اتفق عليه رسله وكتبه .

ثم علل نهيمهم عن اتباعه بعداوته لهم فقال :

( إنه لكم عدو مبين ) أى إنه مظهر لعداوته لكم ، غير متحاش ولا متكتم لها كما يدل على ذلك ما وقع بينه وبين أبيكم آدم من امتناعه عن السجود له ، وما ألزم به نفسه من إغواء جميع بنى آدم إلا عباد الله المخلصين .



( ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة ولأبين لكم بعض الذي تختلفون فيه ) أى ولما جاء عيسى بالمعجزات الواضحة قال قد جئتكم بالشرائع التى فيها صلاح البشر ، ولأبين لكم بعض ما اختلف فيه قوم موسى من أحكام الدين دون أمور الدنيا كطرق الفلاحة والتجارة ، فإن الأنبياء لم يبعثوا لبيانها كما يشير إلى ذلك قوله عليه الصلاة والسلام حين نهام عن تأييد النخل ( تلقيحه بالطلع ) ففسد الثمر ولم يغل شيئا ، نافعا « أنتم أعلم بأمور دنياكم وأنا أعلم بأمور دينكم » .

ولما بين لهم أصول الدين وفروعه قال :

( فاتقوا الله وأطيعون ) أى فاتقوا الله فى مخالفتى ، وخافوا أن يحل بكم عقابه ، وأطيعونى فيما أبلغكم عنه من الشرائع والتكاليف .

ثم فصل ما يأمرهم به بقوله :

( إن الله هو ربى وربكم فاعبدوه ) أى إن الله الذى يستحق إفراده بالألوهية وإخلاص الطاعة له — ربى وربكم ، فأنا وأنتم عبيد له فقراء إليه .

( هذا صراط مستقيم ) أى هذا الذى جئتكم به هو الصراط المستقيم ، وكل الديانات جاءت بمثله ، فها هو إلا اعتقاد بوحداية الله ، وتعبد بشرائعه . وقصارى ذلك — إنه علم بحقائق ، وعمل بشرائع .

ولما كان الطريق القويم يجب الاجتماع عليه ، والاتفاق على سلوكه — بين أنهم خالفوا ذلك فاختلفوا فيه فقال :

( فاختلف الأحزاب من بينهم ) أى فاختلف النصارى وصاروا شيعة ، من ملكانية إلى نسطورية إلى يعقوبية ؛ فمنهم من يقر بأنه عبد الله ورسوله وهو الحق ، ومنهم من يدعى أنه ابن الله ، ومنهم من يقول إنه الله ، تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا .

( مويل للذين ظلموا من عذاب يوم أليم ) أى فالويل لهؤلاء المختلفين الذين

أشركوا بالله وقالوا في عيسى ما كفروا به - من عذاب يوم القيامة حين يحاسبون على ما قالوا وعلى ما عملوا .

ثم حذرهم وأنذروهم على ما هم فيه من الخلاف دون أن يتبينوا وجه الحق فقال :  
( هل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة وهم لا يشعرون ) أى هل ينتظر هؤلاء الأحزاب المتخلفون في شأن عيسى القائلون فيه الباطل من القول - إلا أن تقوم الساعة بغتة وهم غافلون عنها لا يعلمون بمجيئها لاشتغالهم بأمر دنياهم وإنكارهم لها ، فيندمون حين لا ينفعهم الندم ولا يدفع ذلك عنهم شيئاً .

ونحو الآية قوله تعالى : « تَأْخُذْهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ » .

روى ابن مردويه عن أبي سعيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تقوم الساعة والرجلان يحملان النعمة ، والرجلان يطويان الثوب ، ثم قرأ ( هل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة وهم لا يشعرون ) .

الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ (٦٧) يَاعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ (٦٨) الَّذِينَ آمَنُوا بآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ (٦٩) ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ (٧٠) يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٧١) وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٧٢) لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ (٧٣) .

### شرح المفردات

الأخلاء : واحدكم خليل ، وهو الصديق الحميم ، مسلمين : أى مخلصين منقادين لهم ، تحبرون : أى تسرون سرورا يظهر حباراه ( بفتح الحاء ) أى أثره من النضرة

والحسن على وجوهكم ، والصحاف : واحداها صحفة وهى كالقصعة ، قال الكسائى  
أكبر أوانى الأكل الجفنة ثم القصعة ثم الصفحة ثم المشكلة ، والأكواب :  
واحداها كوب ، وهو كوز لا أذن له .

### المعنى الجملى

بعد أن ذكر فيما سلف أن يوم القيامة سيأتيهم بغتة وهم لا يشعرون — أردف  
ذلك ببيان أحوال ذلك اليوم ، فمنها أن الأخلاء يتعادون فيه إلا من تحالوا على  
الإيمان والتقوى ، ومنها أن المؤمنين لا يخافون من سلب نعمة يتمتعون بها ، ولا يحزنون  
على فقد نعمة قد فاتتهم ، ومنها أنهم يتمتعون بفنون من الترف والنعيم فيطاف عليهم  
بالصحاف من الذهب فيها مالد وطاب من المأكول ، وبالأكواب والأباريق فيها  
شهى المشارب ، ويقال لهم هذا النعيم كفاء ما قدمتم من عمل بأوامر الشرع  
ونواهيه ، وأسلفتم من إخلاص لله وتقوى له .

### الإيضاح

( الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدوٌ إلا المتقين ) أى كل صداقة وخلة فإنها  
تنقلب فى ذلك اليوم إلى عداوة إلا ما كانت فى الله وفى سبيله ، فإنها تبقى  
فى الدنيا والآخرة .

ونحو الآية ما قاله إبراهيم لقومه : « إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ  
بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ  
بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ » .

ثم ذكر ما يتعلق به سبحانه عباده المؤمنين المتحابين فى الله تشريفا لهم وتسكينا  
لرؤسهم مما يرون من الأهوال فقال :

( يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون ) أى ونقول لهم حينئذ : يا عباد

لأنخافوا من عقابي ، فإني قد أمنتكم منه برضاي عنكم ، ولا تحزنوا على فراق الدنيا ، فإن الذي تقدمون عليه خير لكم مما فارقتموه منها .

ثم بين من يستحق هذا النداء وذلك التكريم فقال :

( الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين ) أى الذين آمنت قلوبهم وصفت نفوسهم وانقادت لشرع الله بواطنهم وظواهرهم .

ثم ذكر ما يقال لهم على سبيل البشرى فقال :

( ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون ) أى ادخلوا الجنة أيها المؤمنون أنتم وأزواجكم مغبوطين بكرامة الله ، مسرورين بما أعطاكم من مننه .

وبعدئذ ذكر طرفا مما يتمتعون به من النعيم فقال :

( يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب ) أى وبعد أن يستقروا فى الجنة ويهدأ روعهم يطاف عليهم بحفان من الذهب مُترعة بألوان الأطعمة والحلوى ، وبأكواب فيها أصناف الشراب مما لذ وطاب .

وبعد أن فصل بعض ما فى الجنة من نعيم ، عَمَّ فى ذلك فقال :

( وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خالدون ) أى وفى الجنة ما تشتهيه أنفس أهلها من صنوف الأطعمة والأشربة والأشياء المعقولة والمسموعة ونحوها مما تطلبه النفوس وتهواه ، كأننا ما كان جزاء لهم على ما منعوا أنفسهم من الشهوات ، وفيها ما تفرّ أعينهم بمشاهدته ، وأعلاه النظر إلى وجهه الكريم ، وأنتم لا تخرجون منها ولا تبغون عنها حولا .

أخرج ابن أبي شيبة والترمذى عن عبد الرحمن بن سابط قال : « قال رجل يا رسول الله هل فى الجنة خيل فإني أحب الخيل ؟ قال : إن يدخلك الله الجنة فلا تشاء أن تركب فرسا من ياقوتة حمراء فتطير بك فى أى الجنة شئت إلا فعلت ، وسأله آخر فقال : يا رسول الله هل فى الجنة من إبل فإني أحب الإبل ؟ فقال إن يدخلك الله الجنة يكن لك ما اشتئت نفسك ولدت عينك » .

ثم ذكر أن هذا كان فضلا من ربكم آتاكموه كفاء أعمالكم التي أسلفتموها فقال :

( وتلك الجنة التي أوردتموها بما كنتم تعملون ) أى وهذه الجنة جعلها الله لكم باقية كالميراث الذى يبقى عن المورث ، جزاء ما قدمتم من عمل صالح .  
أخرج ابن أبى حاتم وابن مردويه عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مامن أحد إلا وله منزل فى الجنة ومنزل فى النار ، فالكافر يرث المؤمن منزله فى النار ، والمؤمن يرث الكافر منزله فى الجنة ، وذلك قوله : « وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِدْتُمُوهَا » .

وبعد أن ذكر الطعام والشراب ذكر الفاكهة فقال :  
( لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون ) أى لكم فيها صنوف من الفواكه لا حصر لها ، تأكلون منها حيثما شئتم ، وكيفما اخترتم .

إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّهِينٍ خَالِدُونَ (٧٤) لَا يُفْتَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ (٧٥) وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ (٧٦) وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَا كَثُونَ (٧٧) لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنْ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ (٧٨) أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ (٧٩) أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ (٨٠) .

### شرح المفردات

المراد بالمجرمين هنا الراسخون فى الإجرام وهم الكفار ، يفتَر: أى يخفف ، من قولهم : فترت عنه الحى إذا سكنت قليلا ، مبلسون: من الإبلاس وهو الحزن المعترض

من شدة اليأس ، والمبلس كثيرا ما يلزم السكوت وينسى ما يعنيه ، ومن ثم قيل  
أبلس فلان إذا سكت وانقطعت حجته ، قاله الراغب ، مالك : خازن النار ، ليقض  
علينا ربك : أى ليمتنا ، من قوتهم : قضى عليه : أى أماته ، وأبرم الأمر : أحكم تديره ،  
أمر : هو التحيل فى تكذيب الحق ، والسر : هو ما يحدث به المرء نفسه أو غيره  
فى مكان خال ، والنجوى : التناجى فيما بينهم .

### المعنى الجملى

بعد أن ذكر ما أعد لأهل الجنة من النعيم المقيم ، والتمتع بفنون اللذات من  
المآكل والمشرب والفواكه — أعقب ذلك بذكر ما يكون فيه الكفار من العذاب  
الآليم الدائم الذى لا يخفف عنهم أبدا ، وهم فى حزن لا ينقطع ، ثم ذكر أن هذا ليس  
إلا جزاء وفاقا لما دسوا به أنفسهم من سيئ الأعمال ، ثم أردف ذلك بمقال أهل  
النار لخزنة جهنم وطلبهم من ربهم أن يموتوا حتى يستريحوا مما هم فيه من العذاب ،  
ثم إجابته لهم عن ذلك ، ثم وبخهم على ما عملوا فى الدنيا واستحقوا به العذاب ،  
ثم ذكر ما أحكموا تديره من رد الحق وإعلاء شأن الباطل ظنا منهم أنا لا نسمع  
سرهم ونجواهم ، وقد هموا فيما ظنوا ، فإن الله عليم بذلك ورسله يكتبون كل ما صدر  
عنهم من قول أو فعل .

### الإيضاح

( إن المجرمين فى عذاب جهنم خالدون ) أى إن الذين اجترموا الكفر بالله  
فى الدنيا يجازيهم ربهم بعذاب جهنم خالدين فيه أبدا لا ينفك عنهم ولا يجدون  
عنه حولا .

( لا يفترونهم وهم فيه مبلسون ) أى لا يخفف عنهم لحظة وهم فيه ساكنون  
سكوت يأس من النجاة والفرج ، ولا منافاة بين هذا وبين قوله الآتى : ونادوا

يا مالك الخ لأن تلك أزمانه متطاولة وأحقاب ممتدة ، فتختلف بهم الأحوال ، فيسكتون تارة لغلبة اليأس عليهم وعلمهم أنه لا فرج ، ويشتد عليهم العذاب أخرى فيستغيثون . ثم ذكر أن ذلك العذاب جزاء ما كسبت أيديهم فقال :

( وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين ) أى وما ظلمنا هؤلاء المجرمين بظلمناهم ما أخبرناكم أننا فاعلون بهم ، ولكن هم الذين أساءوا إلى أنفسهم ، فكذبوا الرسل وعصوهم بعد أن أقاموا الحجة عليهم ، فأتوهم بياهر المعجزات . ثم ذكر ما يقوله أهل النار وما يحجبهم به خزنتها فقال :

( ونادوا يا مالك ليقتض علينا ربك قال إنكم ما كثون ) أى ونادى المجرمون من شدة العذاب فقالوا : يا مالك ادع لنا ربك أن يقبض أرواحنا ليرحمنا مما نحن فيه فأجابهم بقوله إنكم ما كثون لا خروج لكم منها ، ولا محيد لكم عنها . ونحو الآية قوله تعالى : « لَا يَقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا » وقوله : « وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا » .

ثم خاطبهم خطاب تفريع وتوبيخ وبيّن سبب مكثهم فيها بقوله : ( لقد جئناكم بالحق ولكن أكثركم للحق كارهون ) أى لقد بينا لكم الحق على السنة رسلنا وأنزلنا إليكم الكتب ، مرشدة إليه ولكن سجاياكم لا تقبله ولا تقبل عليه ، وإنما تنقاد للباطل وتعظمه ، وتصد عن الحق وتأباه ، وتبغض أهله ، فعودوا على أنفسكم باللاماة ، واندموا حيث لا تنفعكم الندامة . وبعد أن ذكر كيفية عذابهم في الآخرة ، بين سببه وهو مكرهم وسوء طويتهم في الدنيا فقال :

( أم أبرموا أمرا فإنا مبرمون ) أى بل هم تحيلوا في رد الحق بالباطل بوجوه من الحيل والمكر ، فكادهم الله تعالى ورد عليهم سوء كيدهم بتخليدهم في النار معذبين فيها أبدا .

وقصارى ذلك — أَحْكَمُوا كَيْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَإِنَّا مُحْكَمُونَ لَهُمْ كَيْدًا ، قَالَه مجاهد وقتادة وابن زيد .

ونحو الآية قوله : « وَمَكْرُؤًا مَكَرًا وَمَكْرَةً مَكَرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ » وقوله : « أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ » .

( أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم ) أى بل أيقظون أنا لا نسمع حديث أنفسهم بذلك ، ولا ما يشكمون به فيما بينهم بطريق التناجى .

( بلى ورسلنا إليهم يكتبون ) أى بلى نسمعهما ونطلع عليهما ، والحفظة يكتبون جميع ما يصدر عنهم من قول أو فعل .

والخلاصة — إنا نعلم ذلك والملائكة يكتبون أعمالهم صغيرها وكبيرها .

قال يحيى بن معاذ : من ستر من الناس ذنوبه ، وأبداها لمن لا تخفى عليه خافية — فقد جعله أهون الناظرين إليه ، وهو من أمارات النفاق .

وأخرج ابن جرير عن محمد بن كعب القرظى قال : بينا ثلاثة نفر بين الكعبة وأستارها ، قرشيان وثقفي ، فقال أحدهم : أترون أن الله يسمع كلامنا ، وقال الثانى إذا جهرتم سمع ، وإذا أسررتم لم يسمع ، وقال الثالث : إن كان يسمع إذا أعلنتم فهو يسمع إذا أسررتم ، فنزلت الآية .

قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ (٨١) سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ (٨٢) فَذَرَهُمْ يَمْخَضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ (٨٣) وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ (٨٤) وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ



وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٨٥) وَلَا يَمْلِكُ  
 الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٨٦)  
 وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ (٨٧) وَقِيلَ يَا رَبِّ  
 إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ (٨٨) فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ  
 يَعْلَمُونَ (٨٩) .

### شرح المفردات

سبحان رب السموات : أى تنزيها له عن كل نقص ، يصفون : أى يقولون  
 كذبا بأن له ولدا ، فذرهم : أى فاتركهم ، يخوضوا : أى يسلكوا فى باطلهم مسلك  
 الخائضين فى الماء ، ويلعبوا : أى يفعلوا فى أمورهم الدنيوية فعل اللاعب الغافل عن  
 عاقبة ما يعمل ، يومهم هو يوم القيامة ، إله : أى معبود بحق لا شريك له ، يدعون :  
 أى يعبدون ، من شهد بالحق : أى من نطق بكلمة التوحيد ، يؤفكون : أى  
 يصرفون ، وقيله : أى قوله . قال أبو عبيدة : يقال قلت قولا وقالا وقيلا ، وفى الخبر  
 « نهى عن قيلٍ وقَالٍ » ، فاصفح عنهم : أى اعف عنهم غفو المعرض ولا تقف عن  
 التبليغ ، سلام : أى سلام متاركة لكم بسلامتكم منى وسلامتى منكم .

### المعنى الجملى

أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقول للمشركين إحقاقا للحق : إن مخالفتهم  
 لهم فى عبادة ما يعبدون لم يكن بغضا منه لهم ولا عداوة لمعبودهم ، بل لاستحالة نسبة  
 ما نسبوه إليهم وبنوا عليه عبادتهم لهم من كونهم بنات الله ، تنزه ربنا عما يقولون ،  
 ثم أمره أن يتركهم وشأنهم حتى يأتى اليوم الذى يلاقون فيه جزاء أعمالهم وأقوالهم ،

ثم أخبر بأن لا معبود في السماء ولا في الأرض سواه ، وهو الحكيم العليم بكل شيء ، وأن من يعبدونهم لا يشفعون لهم حين الجزاء والحساب ، ثم ذكر أن أقوالهم تناقض أفعالهم ، فهم يعبدون غير الله ، ويقولون إن الخالق للكون : سمائه ، وأرضه هو الله ، ثم أردف هذا بأنه لا يعلم الساعة إلا هو ، وأنه يعلم شديد حزنك على عدم إيمانهم ، وعدم استجابتهم لدعوتك ، ثم ختم السورة بأمر رسوله بالإعراض عنهم وتركهم وشأنهم ، وسيأتي اليوم الذي يقون فيه الجزاء على سوء صنيعهم .

### الإيضاح

( قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين ) أى قل لهم : إن ثبت ببرهان صحيح تورودونه ، وحجة واضحة تُدَلُّون بها — أن للرحمن ولدا ، كنت أسبقكم إلى طاعته ، والانقياد له ، كما يعظم الرجل ابن الملك تعظيماً لأبيه — ولا شك أن هذا أبلغ أسلوب في نفي الولد ؛ كما يقول الرجل لمن يناظره ويجادله : إن ثبت ماتقول بالدليل فأنا أول من يعتقده ويقول به ، وهذا ما اختاره ابن جرير ورجحه .

وخلاصته — إذا كنت لم أعترف بولد ، بدليل أنى لم أعبد مع أنى أقرب الناس إلى الله ، فالولد لا وجود له حتماً — وكأنه يقول : إن انتفاء الولد مرتب على انتفاء عبادته ، لما علم من أنه إذا انتفى اللازم لشيء انتفى ذلك الشيء ، كما استدل بعدم فساد نظام الكون على وحدانية الله في قوله : « لَوْ كَانَ فِيهِمَا — السموات والأرض — آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا » .

ثم نزه سبحانه نفسه فقال :

( سبحان رب السموات والأرض رب العرش عما يصفون ) أى تنزه مالك السموات والأرض وما فيهما من الخلق ، ورب العرش المحيط بذلك كله — عما يصفه

به المشركون كذبا ، وعما ينسبون إليه من الولد ، إذ كيف تكون هذه العوالم كلها ملكا له ، ويكون شئ منها جزءا منه ، تعالى ربنا عن ذلك علواً كبيراً .

ولما ذكر الدليل القاطع على نفي الولد أمره أن يتركهم وشأنهم فيما يقولون فقال :  
( فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون ) أى فترك أيها الرسول هؤلاء المفتريين على الله ، الواصفية بأن له ولدا ، يخوضوا فى باطلهم ، ويلعبوا فى دنياهم حتى يأتى ذلك اليوم الذى لا محيص منه ، وحينئذ يعلمون عاقبة أمرهم ، ويدققون الوبال والنكال جزاء ما اجتروا من الشرك والآثام .

ولا يخفى ما فى هذا من شديد الوعيد والتهديد .

ثم أكد هذا التنزيه فقال :

( وهو الذى فى السماء إله وفى الأرض إله وهو الحكيم العليم ) أى وهو الله الذى يعبداه أهل السماء وأهل الأرض ، ولا تصلح العبادة إلا له ، وهو الحكيم فى تدبير خلقه وتسخيرهم لما يشاء ، العليم بمصالحهم ، فالحكمة المقتزنة بالعلم تخللت كل رطب ويابس وجليل وحقيق ، فمن يشاهد إنقان العالم وحسن تنسيقه وإبداعه يجد الحكمة فيه على أتم وجوهها ، ويعجب مما فيه من جمال وكمال ويدعش لما يجد فيه من غرائب يحار فيها اللب ، فأفردوا له العبادة ، ولا تشركوا به شيئا سواه .

( وتبارك الذى له ملك السموات والأرض وما بينهما ) أى تقدس خالق السموات والأرض وما فيهما من عوالم لا ندرك كنهها ولا نعلم حقيقتها ، المتصرف فيهما بلا مدافعة ولا ممانعة من أحد ، وهو العلى العظيم الذى بيده أزمّة الأمور نقضاً وإبراما .

( وعنده علم الساعة ) أى وعنده العلم بميقات الساعة لا يجليها لوقتها إلا هو .

( وإليه ترجعون ) أى وإليه المرجع فيجازى كل أحد بما يستحق ، إن خيرا

نخير ، وإن شرا فشر .

(ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة إلا من شهد بالحق وهم يعلمون) أى ولا تقدر الأصنام والأوثان التى يعبدونها على الشفاعة لهم كما زعموا أنهم شفعاء عند ربهم ، ولكن من نطق بكلمة التوحيد وكان على بصيرة وعلم من ربه كالملائكة وعيسى تنفع شهادتهم عنده بإذنه لمن يستحقها .

وقال سعيد بن جبير : إن معنى الآية — لا يملك هؤلاء الشفاعة إلا لمن شهد بالحق وآمن على علم وبصيرة .

ثم بين أن هؤلاء المشركين متناقضو الأقوال والأفعال فقال :

(ولئن سألتهم من خلقهم ؟ ليقولن الله) أى ولئن سألت أيها الرسول هؤلاء المشركين بالله العابدين غيره ، من خلق الخلق جميعا ؟ ليعترفن بأنه الله تعالى وحده لا شريك له فى ذلك ، ولا يستطيعون الجحود لظهور الأمر وجلالته .

(فأنى يؤفكون ؟) أى فكيف ينقلبون عن عبادة الله إلى عبادة غيره ، وينصرفون عنها مع هذا الاعتراف ، فإن المعترف بأن الله خالقه إذا عمد إلى صنم أو حيوان وعبدته مع الله أو عبده وحده — فقد عبد بعض مخلوقات الله ، فهم فى غاية الجهل والسهو وضعف العقل .

وفى هذا تعجيب شديد من إشرأفهم بعد هذا .

(وقيله يا رب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون) أى ويعلم علم الساعة وقوله لربه شاكيا قومه الذين كذبوه واتى منهم شديد الأذى : يا رب إن هؤلاء الذين أمرتنى بإنذارهم وأرسلتنى إليهم لتبليغهم دينك الحق — قوم لا يؤمنون .

ولما شكوا الرسول صلى الله عليه وسلم إلى ربه عدم إيمانهم أجابه ربه بقوله :

(فاصفح عنهم وقل سلام فسوف يعلمون) أى فأعرض عنهم وأنت آيس من إيمانهم ولا تجهم بمثل ما يخاطبونك به من سب الكلام ، بل تألفهم واصفح عنهم قولا وفلا ، فسوف يعلمون عاقبة كفرهم ، فإنك ستنتصر عليهم ويحل بهم بأسنا الذى لا يرد .

وقد أنجز الله وعده ، وأنفذ كلمته ، وأعلى دينه ، وشرع الجهاد والجلاد ، فدخل  
الناس في دين الله أفواجا ، وانتشر الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها .  
فله الحمد والمنة على إظهار الحق وإعلاء مناره ، وإزهاق الباطل وكبح جماحه ،  
تعاليت ربنا يا ذا الجلال والإكرام ، والطول والإنعام ، وصلواتك على محمد وآله .

### خلاصة ما تضمنته السورة من المقاصد

- ( ١ ) وصف القرآن الكريم .
- ( ٢ ) الأمر بإنذار قومه صلى الله عليه وسلم مع غفقتهم وإسرافهم في لذات الدنيا .
- ( ٣ ) شأن هؤلاء المشركين في تكذيبهم للرسول شأن غيرهم من المكذبين من قبلهم .
- ( ٤ ) اعترافهم بأن الله هو خالق السموات والأرض مع عبادتهم للأصنام والأوثان .
- ( ٥ ) اعتقادهم أن الملائكة بنات الله ثم نعى ذلك عليهم .
- ( ٦ ) تمسكهم بتقليد الآباء والأجداد في شئونهم الدينية .
- ( ٧ ) قصص الأنبياء من أولى العزم كإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام .
- ( ٨ ) وصف نعيم الجنة .
- ( ٩ ) الأهوال التي يلقاها أهل النار حتى يتمنوا الموت ليستريحوا مما هم فيه .
- ( ١٠ ) متاركة أهل الباطل والصفح عنهم حتى يأتي وعد الله .

## سورة الدخان

هى مكية ، وعدد آيها تسع وخمسون ، نزلت بعد الزخرف .  
ومناسبتها لما قبلها من وجوه :

- (١) إنه تعالى ختم ما قبلها بالوعيد والتهديد ، وافتتح هذه بالإنذار الشديد .
- (٢) إنه تعالى حكى فيما قبلها قول رسوله صلى الله عليه وسلم : يارب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون ، وحكى هنا عن أخيه موسى : « فَدَعَا رَبَّهُ أَنْ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ » .
- (٣) إنه قال فيما سلف « فَأَصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ » ، وحكى هنا عن موسى « إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجِعُونِ ، وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا إِلَى فَاغْتِرْلُونِ » ، وهو قريب من ذلك .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ (١) وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ (٣) فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ (٤) أَمْراً مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ (٥) رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٦) رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ (٧) لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ (٨) بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ (٩)

## شرح المفردات

ليلة مباركة : هى ليلة القدر ، منذرین أى مخوفین ، يفرق أى يفصل ويبين ، حكيم أى محكم لا يستطيع أن يظعن فيه بحال ، موقنين أى تطلبون اليقين وتريدونه كما يقال مُنْجِدٌ مُسْتَهْمٌ أى يريد نَجْدًا وَتَهَامَةً .

## المعنى الجملى

أقسم جلت قدرته بكتابه الكريم المبين لما فيه صلاح البشر إنه أنزل القرآن في ليلة القدر لإبذار العباد وتخويفهم من عقابه ، وإن هذه الليلة يفصل فيها كل أمر حكيم ، فيبين فيها التشريع النافع للعباد في دنياهم وآخرتهم ، وهو رب السموات والأرض وما بينهما فلا تخفى عليه خافية من أمرهم ، وهو الذى بيده إحيائهم وإماتهم ، وهو ربهم ورب آبائهم الأولين ، ولكنهم يمترون بعد أن وضع الحق ، وأفصح الصبح لندى عينين .

## الإيضاح

( حَم ) أسلفنا الكلام في مثل هذا من قبل .

( والكتاب المبين . إنا أنزلناه في ليلة مباركة ) أقسم ربنا جلت قدرته بكتابه المجيد إنه بدأ ينزل القرآن في ليلة مباركة هي ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر كما جاء في قوله « إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ » من شهر رمضان كما قال سبحانه « شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ » .

والخلاصة — إن بدء نزوله كان في ليلة القدر ثم نزل منجما بعد ذلك في ثلاث وعشرين سنة على حسب الوقائع حالاً خالاً ، وقد عقد السيوطى في كتابه « الإيتقان » أبواباً لنزول القرآن فقال : باب ما نزل منه صيفاً . باب ما نزل منه شتاء . باب ما نزل منه سافراً . باب ما نزل منه حضراً . باب ما نزل منه في الأرض . باب ما نزل منه في السماء . باب ما نزل منه بين الأرض والسماء . باب ما نزل منه بمكة . باب ما نزل منه بالمدينة . باب ما نزل بين مكة والمدينة — إلى آخر ما قال فليراجع فإن فيه فوائد نفيسة .

ثم بين السبب في إنزاله فقال :

( إنا كنا منذرين ) أى إنا كنا معلمين الناس ما ينفعهم فيعملون به ، وما يضرهم فيجتنبونه ؛ لتقوم حجة الله على عباده .

ثم بين سبب تخصيص نزوله بتلك الليلة فقال .

( فيها يفرق كل أمر حكيم . أمراً من عندنا ) أى فى هذه الليلة بدأ يبين سبحانه ما ينفع عباده من أمور محكمة لا تغير فيها ولا تبدل ، بإنزاله ذلك التشريع الكامل الذى فيه صلاح البشر وهدايتهم وسعادتهم فى دنياهم وآخرتهم ، ولا غرور ففى من لدن حكيم عليم بما يصلح شئون عباده فى معاشهم ومعادهم .

ثم بين السر فى نزول القرآن على لسان رسوله فقال :

( إنا كنا مرسلين . رحمة من ربك ) أى إنا أرسلنا الرسول به رحمة منا لعبادنا حتى يستبين لهم ما يضرهم وما ينفعهم ، وحتى لا يكون لهم حجة بعد إرسال الرسول به . ثم أكد ربوبيته بقوله :

( إنه هو السميع العليم ) أى إنه إنما فعل تلك الرحمة ، لأنه هو السميع لأقوالهم ، العليم بما يصلح أحوالهم ، فلا عجب أن أرسله إليهم لحاجتهم إليه . ثم أكد العلة فى سمعه للأشياء وعلمه بها فقال :

( رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين ) أى إنه هو السميع لكل شئ ، العليم به ، لأنه مالك السموات والأرض وما فيها إن كنتم تطلبون معرفة ذلك معرفة يقين لا شك فيه .

وبعد أن أثبت ربوبيته ووحدانيته ذكر فذلكة لذلك فقال :

( لا إله إلا هو يحيى ويميت ) أى هو الإله الذى لا تصلح العبادة إلا له ، وهو الحي المميت ، فيحيى ما يشاء مما يقبل الحياة ، ويميت ما يشاء عند انتهاء ما قدر له من الأجل .



( ربكم ورب آبائكم الأولين ) أى هو مالكم والمتصرف فيكم ، ومالك آبائكم الأولين ومدبر شئونهم ، فاعبدوه دون آلهتكم التى لا تقدر على ضر ولا نفع .  
ثم بين أنهم ليسوا بموقنين بالجواب بعد أن تبين لهم الرشد من الغى فقال :  
( بل هم فى شك يلعبون ) أى بل هم فى شك من التوحيد والبعث والإقرار بأن الله خالقهم ، وإن قالوا ذلك فإنما يقولونه تقليداً لآبائهم من غير علم ؛ إذ هم قابلوه بالهزؤ والسخرية فعل اللاعب العاثر الذى يأخذ الجِدَّ وما لا مزية فيه ، أخذ الهزل الذى لا فائدة فيه .

فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ (١٠) يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ (١١) رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ (١٢) أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ (١٣) ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ (١٤) إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ (١٥) يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنتَقِمُونَ (١٦).

### شرح المفردات

ارتقب أى انتظر ، من قولهم : رقبته أى انتظرته وحرصته ، والمراد من الدخان ما أصابهم من شدة الجوع من الظلمة فى أبصارهم حتى كأنهم كانوا يرون دخانا ، فإن الإنسان إذا اشتد خوفه أو ضعفه أظلمت عيناه ورأى الدنيا كالمملوءة دخانا ، يغشى الناس أى يحيط بهم ، اكشف عنا أى ارفع ، أنى أى كيف يكون ومن أين ، معلّم أى يعلمه غلام روى لبعض ثقيف ، و بطش به أخذه بالعنف والسطوة كأبطشه ، والبطش : الأخذ الشديد فى كل شئ . والبأس ، قاله صاحب القاموس .

## المعنى الجملى

بعد أن ذكر حال كفار قریش إذ قابلوا الرحمة بالكفران ولم ينتفعوا بالمنزل ولا بالمنزل عليه — أردف هذا بأن أمر نبيّه بالانتظار حتى يحل بهم بأسه ، لأنهم أهل الخذلان والعذاب ، لا أهل الإكرام والغفران .

وفى هذا تسليّة لرسوله صلى الله عليه وسلم وتهديد للمشرکین .  
ثم حكى عنهم مقالهم فى شأن الرسول ، فتارة يقولون : إنه معلّم ، وأخرى يقولون إنه مجنون ، ثم أوعدهم بأنه سينتقم منهم يوم البطشة الكبرى وهو يوم القيامة ويجازيهم بما قالوا وبما فعلوا ويأخذهم أخذ عزيز مقتدر .

## الإيضاح

( فارتقب يوم تأتى السماء بدخان مبين ) أى فانتظر يوم يأتى الجذب والمجاعة التى تجعل الجائع يرى بينه وبين السماء كهيئة الدخان المنتشر فى الفضاء .  
ومن خبر هذا ما رواه البخارى عن مسروق قال : إن قریشا لما أبطأت عن الإسلام واستعصت على رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا عليهم بسنين كسنى يوسف ، فأصابهم الجهد والجوع حتى أكلوا العظام والميتة وجعلوا يرفعون أبصارهم إلى السماء فلا يرون إلا الدخان ، فأنزل الله تعالى « فَأَرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ — إِلَى أَلِيمٍ »  
فأتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا رسول الله : استسقى الله تعالى ، فاستسقى لهم فسقوا ، فأنزل الله « إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ » فلما أصابتهم الرفاهية عادوا إلى حالهم الأولى فأنزل الله « يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ » فانتقم الله منهم يوم بدر .

( يفشى الناس هذا عذاب أليم ) أى يحيط بهم من كل جانب ، فيقولون : هذا عذاب مؤلم يقضّ المضاجع وينتهى إلى موت محقق إن دام .

ثم بين أنهم وعدوا الرسول أن يؤمنوا إذا كشف عنهم العذاب كما كان يحدث من قوم فرعون حين نزول الرجز بهم فقال :

( ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون ) أى ربنا إنا سنؤمن إن كشفت عنا العذاب ، وهذه هى طبيعة البشر إذا هم وقعوا فى شدة أيا كانت أن يعدوا بالتوبة والإقلاع عما هم فيه ، ولكن النفوس الشريرة ، لا تتجه إلى فعل الخير ، ولا تفعل ما تتقرب به إلى ربها ، انتظارا لمثوبته ، ورجاء فى غفرانه ورحمته .

روى أنه لما اشتد القحط بقريش مشى أبو سفيان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وناشده الرحم وواعده إن دعا لهم وزال ما بهم أن يؤمنوا .

ثم نفى صدقهم فى الوعد وأن غرضهم كشف العذاب فحسب فقال :  
( أنى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين . ثم تولوا عنه وقالوا معلمٌ مجنون ؟ )  
أى كيف يتذكرون ويتعظون ويفنون بما وعدوا به من الإيمان حين يكشف عنهم العذاب ، وقد جاءهم الرسول بما هو كافٍ فى رجوعهم إلى الحق فلم يرجعوا ، بل قال بعضهم : إن القرآن إنما يعلمه له غلام رومى لبعض ثقيف ، وقال آخرون : إنه أصيب بخبل إذ تلقى إليه الجن هذه الكلمات حين يعرض له العشى .

والخلاصة — إن التوبة إما أن تكون بما ينال الناس من النوائب ، وإما أن تكون بما يتضح لهم من الحقائق ، وهؤلاء قد اتضحت لهم وجوه الصواب فلم يفقهوا فأخذناهم بالعذاب ، ولكن كيف يرجعون به وقد ذكرناهم بالآيات وأريناهم الحقائق وهى أنجع أثرا من العقاب فلم يؤمنوا وقالوا ما قالوا .

ثم نبه إلى أنهم لا يوفون بعهدهم ، بل إذا زال الخوف نكصوا على أعقابهم ورجعوا سيرتهم الأولى وعضوا على الكفر بالنواجد ، وساروا على طريق الآباء والأجداد فقال :

( إنا كاشفوا العذاب قليلا إنهم عائدون ) أى إنا رافعو هذا الضر النازل بكم

بالخصب الذى نوجده لكم زمنا يسيرا ، وإنا لنعلم أنكم عائدون إلى سيرتكم الأولى من تمسككم بالكفر وترك الحق وراءكم ظهريا ، لما فى طباعكم من الميل إلى عبادة الأوثان ، وتقليد الآباء والأجداد .

ولما كان العذاب الأليم لم يؤثر ، والإصلاح بالعلم والإيمان لم يفد ، أمهلناهم إلى يوم البطشة الكبرى حيث لا توبة بعدها فينتقم الله منهم ، وهذا ما عنده سبحانه بقوله :  
( يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون ) أى إنا يوم القيامة لنسلطن عليهم بأسنا ، وننتقم منهم أشد الانتقام ، ولا يجدون شفيعا ولا وليا ولا نصيرا يمنع عنهم عقابنا ، فيندمون ، ولات ساعة مندم .

وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ (١٧) أَنْ أَذُوا إِلَىٰ عِبَادِ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٨) وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (١٩) وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُونِ (٢٠) وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَرِلُونِ (٢١) فَدَعَا رَبُّهُ أَنْ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ (٢٢) فَأَسْرَعَ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُّتَّبِعُونَ (٢٣) وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُّغْرَقُونَ (٢٤) كَمْ تَرَكَوْا مِنْ جَنَّاتٍ وَعَيْمُونٍ (٢٥) وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (٢٦) وَنِعْمَةَ كَانُوا فِيهَا فَآكِهِينَ (٢٧) كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ (٢٨) فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ (٢٩) وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ (٣٠) مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِنَ الْمُسْرِفِينَ (٣١) وَلَقَدْ اخْتَرْنَاكُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ (٣٢) وَآتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَاتِنَا مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُّبِينٌ (٣٣) .

## شرح المفردات

فتنا : أى بلونا وامتحننا ، كريم : أى جامع لخصال الخير والأفعال المحمودة قاله  
الراغب ، أدوا إلى عباد الله : أى أطلقوا وسلموا ، أمين : أى أئتمنه الله على وحيه  
ورسلاته ، وأن لاتعلوا على الله أى لاتستكبروا على الله بالاستهانة بوحيه ، بسلطان مبين :  
أى بحجة واضحة لاسبيل إلى إنكارها ، عذت بربى وربكم : أى التجأت إليه وتوكلت  
عليه ، أن ترجون : أى تؤذونى ضرباً أو شتماً ، فاعتزلون : أى كونوا بمعزل منى  
لاعلى ولا لى ولا تتعرضوا لى بسوء ، مجرمون : أى كافرون ، أمر بعبادى : أى سر  
بهم ليلا ، متبعون : أى يتبعكم فرعون وقومه ، رهوا : أى ساكننا ، يقال عيش راه  
إذا كان خافضاً وادعاً ، وافعل ذلك سهوا رهوا : أى ساكننا بغير تشدد ، قال  
القطامى فى وصف الرّ كآب :

يُمَشِّينَ رَهْوًا فَلَا الْأَمْجَازُ خَاذِلَةً وَلَا الصَّدُورُ عَلَى الْأَمْجَازِ تَتَكَلُّمُ

مقام كريم : أى مجالس ومنازل حسنة ، نعمة : أى حسن ونضرة ، قال صاحب  
الكشاف : النعمة ( بالفتح ) من التّعم ، ( وبالكسر ) من الإنعام ، فاكهين : أى  
طيبى الأنفس ناعمين ، فما بكت عليهم السماء : أى لم تكثر لهلاكهم ولا اعتدت  
بوجودهم ، وقد جرى الناس أن يقولوا حين هلاك الرجل العظيم الشأن : إنه قد أظلمت  
الدنيا لفقده ، وكسفت الشمس والقمر له — وبكت عليه السماء والأرض كما قال :  
جرير يرثى عمر بن عبد العزيز رحمه الله .

الشمس طالعةٌ ليست بكاسفة تبيكى عليك نجوم الليل والقمر

منظرين أى مهملين ومؤخرين ، العذاب المهيّن أى الشديد الإهانة والإذلال ،  
عالياً أى جباراً متكبراً ، من المفسرفين أى فى الشر والفساد ، اخترناهم أى اصطفيناهم ،  
على علم أى عالمين باستحقاقهم ذلك ، على العالمين أى عالمى زمانهم ، الآيات أى المعجزات  
كفلق البحر وتظليل الغمام وإنزال المن والسلوى ، بلاء مبين أى اختبار ظاهر .

## المعنى الجملى

بعد أن ذكر أن مشركى مكة أصروا على كفرهم ولم يؤمنوا برسولهم — أردف هذا ببيان أن هؤلاء ليسوا ببدع فى الأمم ، فكثير قبلهم كذبوا رسلهم ، فهام أولاء قوم فرعون قد كان منهم مع موسى مثل ما كان من قومك معك بعد أن أتاهم بالبينات التى كانت تدعو إلى تصديقه ، فكذبوه فنصره الله عليهم وأغرق فرعون وقومه وجعلهم مثالا للآخرين .

## الإيضاح

(ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول كريم . أن أدوا إلى عباد الله إني لكم رسول أمين) أى ولقد اخترنا قبل مشركى قومك — قوم فرعون وهم مثال قومك فى جبروتهم وطفيتهم ، وعتوتهم واستكبارهم ، فأرسلنا إليهم الرسول الكريم موسى عليه السلام فقال لهم: أيها القوم أرسلوا معى بنى إسرائيل وأطلقوهم من أسركم وتعذيبكم ، إني رسول من الله مأمون على ما أبلغكم غير متهم فيه .

ونحو الآية قوله عز اسمه : « أَنْ أَرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا نُعَذِّبَهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى » .

(وأن لاتعولوا على الله إني آتيكم بسلطان مبين) أى وأن لاتنطفوا وتبغوا على ربكم فتكفروا به وتمصوه فتخالقوا أمره — لأنى آتيتكم بحجة واضحة على حقية ما أدعوكم إليه ، لمن تأملها وتدبر فيها .

(وإني عذت بربى وربكم أن ترجون) أى وإني ألتجئ إلى الله الذى خلقنى وخلقكم أن لاتصلوا إلى بسوء من قول أو فعل .

(وإن لم تؤمنوا لى فاعزلون) أى وإن أتم لم تصدقونى فيما جئتكم به من عند

ر بكم فخلوا سبيلي ولا ترجعوني باللسان ولا باليد ، ودعوا الأمر بيني وبينكم مسألة إلى أن يقضى الله بيننا .

ولما طال مقامه صلى الله عليه وسلم بين أظهرهم ، وأقام حجج الله عليهم ، ولم يزدهم ذلك إلا كفرًا وعنادًا دعا عليهم ، وإلى ذلك أشار بقوله :

( فدعاه ربه أن هؤلاء قوم مجرمون ) أى فدعاه ربه إذ كذبوه ولم يؤمنوا به ولم يؤدوا إليه عباد الله وهما بقتله : بأن هؤلاء قوم مشركون بك مكذبون لرسلك .

ونحو الآية قوله : « وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ ، رَبَّنَا اطْمِسْ كُلَّ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ . قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوُوكُمَا فَاسْتَقِيمَا » .

وحينئذ أمره الله أن يخرج بيني إسرائيل من بين أظهرهم بلا أمر فرعون ولا مشورته ، وإلى ذلك أشار بقوله :

( فأمر بعبادى ليلا ) أى فسر بيني إسرائيل ومن آمن معك من القبط ليلا . ثم علل الشرى ليلا فقال :

( إنكم متبعون ) أى إن فرعون وقومه سيتبعونكم إذا علموا بخروجكم ، ومسيركم ليلاً يؤخر علمهم بذلك ، فلا يدركونكم .

ونحو الآية قوله تعالى : « وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرَبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا . لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى » .

( وأترك البحر رهوا لأنهم جند مفرقون ) أى وإذا قطعت البحر أنت وأصحابك فاتركه ساكنا على حاله التى كان عليها حين دخلته حتى يدخله فرعون وقومه فيغرقوا فيه .

روى أن موسى عليه السلام لما قطع البحر رجع ليضربه بعصاه حتى يلتئم خوفاً من فرعون وجنوده أن يتبعوه ، فأمر أن يتركه كما هو حتى يدخلوه .  
وإنما أخبر موسى بفرقهم ليطمئن قلبه فيترك البحر كما هو .

ولما أخبر بفرقهم ذكر ما خلفوه فقال :

( كم تركوا من جنات وعيون وزروع . ومقام كريم . ونعمة كانوا فيها فاكهين )  
أي كم ترك فرعون وقومه بعد مهلكهم من بساتين فيحاء ، وحدائق غناء ، وزروع ناضرة ، وقصور شاهقة ، فقد كانوا في بلهنية من العيش ، وسعة في الرزق ، وخفض ودعة ، وسرور وحبور .

ثم أكد هذا بقوله :

( كذلك ) أي هكذا فعلنا بهؤلاء الذين كذبوا رسولنا ، وهكذا نفعل بكل من عصانا وخالف أمرنا .

( وأورثناها قوما آخرين ) أي وأورثنا تلك البلاد بما فيها من خير عظيم ، ونعيم عظيم ، قوما غير أهلها ممن لا يمتنون إليهم بقرابة ولا دين ، فقد تغلب على مصر الآشوريون والبابليون حينئذ ، والحبش حينئذ آخر ، ثم الفرس مدة واليونان أخرى ثم الرومان من بعدهم ، ثم العرب ثم الطولونيون والإخشيديون والفاطميون والمماليك البرية والبحرية والترك والفرنسيون والإنكليز . وهانحن أولاء نجاهد لنحظى بخروجهم من ديارنا ونتمكن من استقلال بلادنا ، والله الأمر من قبل ومن بعد « قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ يَبْدُلُ يَدُكَ إِنتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » .

ثم سخر منهم واستهزأ بهم حين هلكوا فقال :

( فما بكت عليهم السماء والأرض ) كان هؤلاء القوم يستعظمون أنفسهم ويظنون أنهم لو ماتوا لقال الناس فيهم ذلك على ما جرت به العادة في مهلك العظيم



أن يقولوا بكت عليه السماء والأرض ، وبكته الريح ونحو ذلك . قال يزيد ابن مفرغ :

الريحُ تبكى شجوةً والبرق يلمع فى غمامه

فأخبر سبحانه بأن هؤلاء كانوا دون ذلك فما بكت عليهم سماء ولا أرض .  
( وما كانوا منظرين ) أى وما أمهلوا لتوبة أو تدارك تقصير ، بل عُجِّلَ لهم العذاب .

ولما بين كيفية إهلاك فرعون وقومه ، أردف ذلك بذكر إحسانه إلى موسى وقومه فقال :

( ولقد نجينا بنى إسرائيل من العذاب المهين . من فرعون إنه كان عاليا من المسرفين ) أى ولقد خلصناهم بإهلاك عدوهم مما كانوا فيه من الاستعباد وقتل الأبناء واستحياء النساء وتكليفهم بالأعمال الشاقة ، إلى نحو ذلك من وسائل الخسف والضميم إذ كان جبارا مستكبرا مسرفا فى الشر والفساد ، ولا أدل على ذلك من ادعائه الألوهية ؛ إذ قال : أنا ربكم الأعلى .

ونحو الآية قوله تعالى : « إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْ أَهْلَهَا شِيْعًا » .  
وبعد أن بين طريق دفعه للضر عنهم ، أردف ذلك بذكر ما أكرمهم به فقال :  
( ولقد اخترناهم على علم على العالمين ) أى ولقد اصطفيناهم على عالمى زمانهم بما أنزلنا عليهم من الكتب وأرسلنا فيهم من الرسل ، ونحن عالمون بأنهم أهل لكل مكرمة وفضل .

( وآتيناهم من الآيات ما فيه بلاء مبين ) أى وأعطيناهم من الأمور ذوات الخطر الدالة على كرامتهم عندنا ، ما فيه عبرة لمن تأمل فيه ، فأنجيناهم من عدوهم ، وظلانا عليهم الغمام ، وأنزلنا عليهم المن والسلوى ، إلى نحو أولئك .

قال الحسن وقتادة : البلاء المبين النعمة الظاهرة على نحو ما جاء في قوله : « وَلِيُنَبِّئَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلََاءٌ حَسَنًا » وقوله : « وَتَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً » .

إِنَّ هَؤُلَاءَ لَيَقُولُونَ (٣٤) إِنَّ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ (٣٥) فَأْتُوا بِآبَاتِنَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٣٦) أَمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمٌ تُبْعَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ (٣٧) .

### شرح المفردات

بمنشرين : أى بمبعوثين؛ يقال نشر الله الموتى وأنشرم إذا أحيام ، وتبع : واحد التبابعة ، وهم ملوك اليمن ، وهذا اللقب أشبه بفرعون لدى قدماء المصريين ، وم طبقتان : الطبقة الأولى ملوك سبأ وريدان من سنة ١١٥ قبل الميلاد إلى ٢٧٥ بعده . والطبقة الثانية ملوك سبأ وريدان وحضرموت والشَّحْر من سنة ٢٧٥ بعد الميلاد إلى سنة ٥٢٥ ؛ وأولهم شمر برعش ، وآخرهم ذونواس ثم ذو جَدَن ، ومنهم ذوالقرنين أو إفريقش ، ويسمى الصعب . وبعده عمرو زوج بلقيس ثم أبو بكر ابنه ثم ذونواس ، والذين اشتهروا من هؤلاء الملوك ثلاثة شمر برعش وذو القرنين وأسعد أبو كرب .

### المعنى الجملى

عود على بدء — كان الكلام أولاً في كفار قريش ؛ إذ قال فيهم : بل هم في شك يلبعون ؛ أى إنهم في شك من البعث والقيامة ، ثم بين كيف أصروا على كفرهم ، ثم ذكر أن قوم فرعون كانوا في إصرارهم على الكفر كهؤلاء ، وقد أهلكهم الله وأنجى بنى إسرائيل ، ثم رجع إلى الحديث الأول ، وهو إنكارهم للبعث وقولهم إنه لا حياة بعد هذه الحياة ، فإن كنتم صادقين فاسألوا ربكم يجعل لنا إحياء من

مات حتى يكون ذلك دليلاً على صدق دعواكم النبوة والبعث في القيامة ، ثم توعدهم بأنه سيستن بهم سنة من قبلهم من المكذبين ، فقد أهلك من هم أقوى منهم بطشاً وأكثر جنداً ، وهم قوم تبع ملوك اليمين من قحطان ، فحذار أن تصرؤا على الكفر حتى لا يحقق بكم بأس ربكم .

## الإيضاح

(إن هؤلاء ليقولون . إن هي إلا موتتنا الأولى وما نحن بمنشرين) أى إن هؤلاء المشركين من أهل مكة يقولون : ما نتم إلا هذه الحياة الدنيا ، ولا حياة بعد الممات ، ولا بعث ولا نشور .

ثم خاطبوا من وعدوهم بالنشور ، وهم النبي وأصحابه وقالوا لهم :  
(فأتوا بآبائنا إن كنتم صادقين) أى إن كان البعث حقاً كما تقولون فمجبوا لنا بإحياء آبائنا الماضين الذين ذهبوا فلم يرجعوا إن كنتم صادقين فيما تدعون .  
وهذه حجة داحضة ، فإن المعاد يوم القيامة بعد انقضاء الدار الدنيا حين يعيد الله العالمين خلقاً جديداً ، ومن ثم لم يتعرض الكتاب الكريم لرد ما قالوا ، بل قال لهم مهدداً متوعداً منذراً بأسه الذى لا يرد :

(أهم خير أم قوم تبع والذين من قبلهم أهلكتناهم إنهم كانوا مجرمين) أى إن نظراءهم المشركين المنكرين للبعث كقوم تبع أهلكتهم الله وخرَّب ديارهم وشرَّدهم في البلاد شذراً مذرّاً ، وقد كانوا أقوى منهم جنداً وأكثر عدداً ، وكانت لهم دولة وصولة ، وهؤلاء ليسوا في شيء من ذلك — وكذلك فعل بمن قبلهم كعاد وثمود إذ كانوا في خسران مبين بكفرهم وإنكارهم للبعث والنشور . فليحذر هؤلاء أن يحل بهم مثل ما حل بأولئك « سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا » .

وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ (٣٨) مَا خَلَقْنَاهَا  
إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٣٩) إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ  
أَجْمَعِينَ (٤٠) يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ (٤١)  
إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٤٢) .

### شرح المفردات

لاعبين ، أى عابثين ، بالحق ، أى بسبب الحق وهو الإيمان بالله والطاعة له ، يوم  
الفصل : هو القيامة؛ سمى بذلك لأنه يفصل فيه بين الحق والباطل ، ميقاتهم : أى وقت  
موعدهم ، يغنى أى ينفع ، مولى : أى ابن عم أو حليف .

### الإيضاح

(وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لالعبين) أى وما خلقنا الخلق عبثاً بأن  
نوجدهم ثم نفنهم بغير امتحان بطاعتنا ، واتباع أمرنا ونهيها ، و بغير مجازاة للعطية  
على طاعته ، والعاصي على معصيته ، بل خلقناهم لنبتلى من أردنا امتحانه منهم بما  
شئنا ، ولنجزى الذين أساءوا بما عملوا ، ونجزى الذين أحسنوا بالحسنى .

وقد سبق نحو هذا فى سورة « يونس » وسورة « المؤمنون » حيث قال :  
« أَحْسِبْتُمْ أَنَّكُمْ خُلِقْنَا كَمَا عَبَدْتُمُ آبَاءَكُمْ وَإِنَّا لَا أَتَرُجَعُونَ » وفى سورة ص :  
« وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ  
لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ » .

( ما خلقناهما إلا بالحق ) أى ما خلقناهما إلا خلقا ملتبسا بالحق ، وهو الدلالة  
بهما على وحدانية الخالق لهما ، ووجوب طاعته ، والإنابة إليه لعظمته وجبروته

كما جاء في الحديث القدسي « كنت كنزا مخفيا فأردت أن أعرف ، فخلقت الخلق في عرفوني » .

(ولكن أكرم لا يعلمون) أى ولكن أكثر هؤلاء المشركين بالله لا يعلمون ذلك ، فهم لا يخافون من سخطه عقوبة لهم على ما اجتروا من السيئات ، ولا يرجون ثوابا على خير فعلوه لتكذيبهم بالميعاد والعودة إلى دار أخرى بعد هذه الدار . وخلاصة ما تقدم — إن هؤلاء لقلّة تدبرهم لا يمتقدون أن الأمر كذلك ، وهم واهمون فيما يظنون ، إذ لو لم توجد دار للجزاء لما امتاز مطيع من عاص ، ولا محسن من مسيء ، والعقل قاضٍ بغير هذا .

ثم أكد ما سلف بقوله :

(إن يوم الفصل ميقاتهم أجمعين) أى إن هذا اليوم الذى يفصل الله فيه بين خلقه ، فيحق الحق ، ويبطل الباطل ، لآت لا محالة وهو وقت حسابهم ، جزائهم على ما كسبت أيديهم من خير أو شر .

ونحو الآية قوله : « لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصَلُ بَيْنَكُمْ » وقوله « إِنَّ يَوْمَ الْفُصْلِ كَانَ مِيقَاتًا » .

ثم وصف أهوال هذا اليوم فقال :

( يوم لا يغنى مولى عن مولى شيئا ولا هم ينصرون ) أى إن هذا يوم تنقطع فيه الأسباب بابن آدم فلا تنفع الناس إلا أعمالهم ، فمن أصاب خيرا في دنياه سعد به ومن أصاب شرا شقى به ، ولا يغنى القريب عن القريب ولا يدفع عنه شيئا من عذاب الله ، ولا يجد الناصر الذى يقيه ذلك العذاب .

وقصارى ذلك — لا يفيد المؤمن الكافر ولا ينصره ولو كان بينهما في الدنيا عُلقة من قرابة أو صداقة أو غيرها .

ونحو الآية قوله : « فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ » وقوله « وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيماً . يُبْصَرُونَ » .

(إلا من رحم الله) أى لكن من رحمه الله فإنه لا يحتاج إلى قريب ينفعه ولا إلى ناصر ينصره قاله الكسائى .

(إنه هو العزيز الرحيم) أى إن الله هو العزيز فى انتقامه من أعدائه ، الرحيم بأوليائه وأهل طاعته .

إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ (٤٣) طَعَامُ الْأَثِيمِ (٤٤) كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ (٤٥) كَغَلْيِ الْحَمِيمِ (٤٦) خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ (٤٧) ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ (٤٨) ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ (٤٩) إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ (٥٠) .

### تشرح المفردات

شجرة الزقوم : هى شجرة ذات ثمر مرّ يثبت بتهامة ، شبهت بها الشجرة التى تنبت فى الجحيم ، والأثيم : أى الكثير الآثام والذنوب وهو الكافر ، والمهل : دردىء الزيت ، والحميم : الماء الذى تنهى حره ، والعتل أن تأخذ بمنكب الرجل فتجره إليك وتذهب به إلى حبس أو محنة . وقال ابن السكيت : عتلته إلى السجن وأعتلته إذا دفعته دفعا عنيقا ، وسواء الجحيم : وسطها .

### الإيضاح

(إن شجرة الزقوم : طعام الأثيم) أى إن الزقوم وهو ثمر هذه الشجرة التى فى الجحيم — طعمه للكافر كثير الذنوب والآثام .

( كالمهل يغلى فى البطون . كعلى الحميم ) أى وهذا الطعام الذى يشبه دردى الزيت الأسود — يغلى فى بطون الكفار ويكون كالماء الحار إذا اشتد غليانه .

( خذوه فاعتلوه إلى سواء الجحيم ) أى ويقال للزبانية « خدم جهنم » خذوا هذا المجرم فادفعوه دفعا إلى وسط جهنم ، لينال قسطه من عذابها .

( ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم ) أى وبعد أن تُدْخِلُوهُ فِيهَا صَبَّوْا فوق رأسه من الماء الساخن الذى ذكرنا صفته .

ونحو الآية قوله تعالى : « يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ . يُصْهِرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ » .

ثم ذكر ما يقال له آتئذ تقرعاً وتهكماً .

( ذق إنك أنت العزيز الكريم ) أى ذق هذا الذل والهوان اليوم ، فإنك كنت تزعم أنك أنت العزيز الكريم ، وها هو ذا قد تبين لك أنك أنت الذليل المهين ، فأين ما كنت تقول وتدعى من العز والكرامة ؟ فهلا تمتنع من العذاب بعزتك .

أخرج الأموى فى مغازيه عن عكرمة قال : لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا جهل فقال له : إن الله أمرنى أن أقول لك : أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى ، فنزع يده من يده وقال بأى شئ تهددنى ، ما تستطيع أنت ولا صاحبك أن تفعلأ بى شيئاً ؛ إلى لمن أعز هذا الوادى وأكرمه ، لقد علمت أنى أمنع أهل بطحاء على قومه ، فقتله الله يوم بدر وأذله وغيّره بكلمته فأنزل « ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ » . ( إن هذا ما كنتم به تمترون ) أى إن هذا العذاب الذى تمذبون به هو العذاب الذى كنتم تشكون فيه فى الدنيا ، فتختصمون فيه ولا توقنون به ، فقد لقيتموه فذوقوه .

ونحو الآية قوله تعالى « يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَا . هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ » .

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ (٥١) فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٥٢) يَلْبَسُونَ مِنْ  
 سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ (٥٣) كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ (٥٤)  
 يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ (٥٥) لَا يَذُقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ  
 الْأُولَىٰ وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (٥٦) فَضْلًا مِنْ رَبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ  
 الْعَظِيمُ (٥٧) فَإِنَّمَا يَسْمُرُ نَاهُ لِبِلسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٥٨) فَارْتَقِبْ  
 إِنَّمَا مَرُّ تَقَبُّونَ (٥٩) .

### شرح المفردات

في مقام أمين : أى في مجلس أمنوا فيه من كل هم وحزن ، سندس : أى ديباج  
 رقيق ، إستبرق : أى حرير فيه بريق ولمعان ، وزوجناهم : أى قرناهم ، بحور عين : أى  
 بحوار بيض حسان واسعات العيون ، يدعون : أى يطلبون ، وقاهم : أى حفظهم ،  
 ارتقب : أى انتظر .

### المعنى الجملى

بعد أن ذكر وعيد الكافرين وما يروونه من الأهوال في ذلك اليوم — أعقب  
 هذا بوعد المتقين بما يلاقونه في جنات النعيم من ضروب التكريم في اللبس والزوجات  
 والمآكل ، ثم بيّان أن هذا النعيم أبديّ خالد لا يعقبه موت ولا تحوّل ولا انتقال ،  
 ثم ختم السورة بالمنة على العرب في نزول القرآن بلغتهم لعلهم يعتبرون ويتعظون به ،  
 ثم توعدهم إذا هم كذبوا بما جاء به الرسول بحلول النعمة بهم ، والنصر له عليهم ،  
 كما هي سنته في أمثالهم من المكذبين « كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي » .



## الإيضاح

(إن المتقين في مقام أمين) أى إن المتقين لله في الدنيا الخائفين عقابه ، المنتظرين فضله وثوابه — يكونون في الآخرة في مجالس يأمنون فيها من الموت ومن كل ما يحزنهم ويصيبهم من الآفات والآلام .

وقد ذكر سبحانه من ضروب نعيمهم خمسة ألوان :

(١) مساكنهم كما قال « في مقام أمين . في جنّاتٍ وَعُيُونٍ » . والمسكن يطيب بأمرين :

(أ) أن يكون من فيه آمنة من جميع ما يخافه ويحذر منه ، وهو المقام الأمين .  
(ب) أن يكون فيه أسباب النزهة من الجنّات والعيون ، وذلك قوله : « في جنّاتٍ وَعُيُونٍ » .

(٢) ملابسهم ، وهى التى عنها سبحانه بقوله :

(يلبسون من سندس وإستبرق) وقد تقدم بسط الكلام في ذلك في سورة الكهف .

(٣) استئناس بعضهم ببعض يجلسون على جهة التقابل ، وهوما أشار إليه بقوله :  
(مقابلين) أى ينظر بعضهم إلى بعض ، وهو أتمّ للأنس .

(٤) الأزواج كما قال :

(كذلك وزوّجناهم بحور عين) أى وهذا العطاء مع ما قد منحناهم من الزوجات الحور العين اللاتى لم يطمئنن إنس قبلهم ولا جان .

(٥) الماء كقول كما قال :

(يدعون فيها بكل فاكهة آمنين) أى يطلبون ما يشتهون من أنواع الفاكهة ، وهم آمنون من انقطاعها ، ومن غائلة أذاها ومكروها ، فهى ليست كفاكة الدنيا التى تأكلها وتخاف مكروه عاقبتها ، أو تخاف نفاذها في بعض الأحيان .

وبعد أن وصف ما هم فيه من نعيم مقيم ، بين أن حياتهم في هذا النعيم دائمة لا يلحقها موت ولا فناء فقال :

( لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى ) أى لا يخشون في الجنة موتا ولا فناء أبدا . وقد ثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يؤتى بالموت في صورة كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار ثم يذبح ، ثم يقال : يا أهل الجنة خلود فلا موت ، ويا أهل النار خلود فلا موت » وقد تقدم هذا في سورة مريم .

وروى أبو هريرة وأبو سعيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يقال لأهل الجنة إن لكم أن تصحوا فلا تسموا أبدا ، وإن لكم أن تعيشوا فلا تموتوا أبدا ، وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبدا ، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدا » رواه مسلم .

وخلاصة ذلك — لا يذوقون فيها الموت لكن الموتة الأولى قد ذافوها في الدنيا كذا قال الزجاج والفرّاء .

( ووقاهم عذاب الجحيم ) أى وهم مع هذا النعيم قد نجاهم من العذاب الأليم ، في دركات الجحيم ، فأعطاهم ما يطلبون ، ونجاهم مما يهربون .  
( فضلا من ربك ) أى نجاهم من ذلك تفضلا منه وإحسانا .

( ذلك هو الفوز العظيم ) أى ذلك الذى أعطيناه هؤلاء المتقين من الكرامة هو الفوز العظيم بما كانوا يطلبون إدراكه في الدنيا بأعمالهم ، وطاعتهم لربهم ، واتباعهم إياه ، فيما امتحنهم به من الطاعات ، واجتنابهم المحرمات .  
ولما أنتم المقاصد التى أراد ذكرها في هذه السورة نلخصها بقوله :

( فإنما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون ) أى إنما سهلنا إليك قراءة القرآن الذى أنزلناه إليك بلسانك ، ليتذكر به قومك ويتعظوا بعباطئه ، ويتفكروا في آياته إذا نلوتها عليهم ، فينبهوا إلى ربهم ، ويدعوا للحق الذى تبينوه .

ولما كان القرآن مع هذا الوضوح والبيان قد حالف فيه بعض الناس وعاند ، قال تعالى مسلماً لرسوله وواءداً له بالنصر ، ومتوعداً من كذبه بالهلاك .

(فارتقب إنهم مرتقبون) أى فانتظر فإنهم منتظرون ، وسيعلمون لمن تكون النصرة والغلبة ، والظفر وعلو الكلمة فى الدنيا والآخرة - ولا شك أن النصر سيكون لك كما كان لإخوانك من النبيين والمرسلين ومن تبعهم من المؤمنين كما قال : « إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ . يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ » .

وقصارى ذلك - ارتقب النصرة من ربك ، إن المشركين مرتقبون بك مايتنونه من الفوائل ، وما يتربصونه بك من الدوائر ، ولن يضيرك ذلك بفضل ربك عليك ، وسيتم نصرك ، ويُفلج حجتك ، ويُعلى كلمتك . اللهم يامن بيدك الخير ، وأنت على كل شىء قدير ، وفقنا لإتمام تفسير كتابك ، واجعله لنا نورا يوم العرض والحساب .

### خلاصة ماتضمنته هذه السورة الكريمة من المقاصد

- (١) بيان بدء نزول القرآن .
- (٢) وعيد الكافرين بحلول الجذب والقحط بهم .
- (٣) عدم إيمانهم مع توالى النكبات بهم .
- (٤) عظة الكافرين بقصص فرعون وقومه مع موسى عليه السلام ، وقد أنجى الله المؤمنين ، وأهلك الكافرين .
- (٥) إنكار المشركين للبعث وقولهم : إن هى إلاموتتنا الأولى وما نحن بمنشرين .
- (٦) إقامة الدليل على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم .
- (٧) وصف أهوال يوم القيامة .
- (٨) وصف ما يلافيه الجرمون من النكال والوبال .
- (٩) وصف نعيم المتقين وحصولهم على كل مايرغبون .

## سورة الجاثية

هي مكية إلا الآية الثامنة فمدنية .

وعدة آياتها سبع وثلاثون ، نزلت بعد سورة الدخان .

ومناسبتها لما قبلها: أن أول هذه مُشاكل لآخر سابقتها في الأغراض والمقاصد.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْ (١) تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (٢) إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ (٣) وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (٤) وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَخْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٥) .

## شرح المفردات

لآيات: أى لعبارة ، يثبت: أى يفرق وينشر ، اختلاف الليل والنهار: أى تعاقبهما ليلاً بعد نهار ونهاراً بعد ليل ، من رزق: أى من مطر ، وسمى بذلك لأنه سبب له ، وتصريف الرياح: أى تغييرها من جهة إلى أخرى ، ومن حال إلى حال .

## الإيضاح

(حَمْ) قد عرفت الكلام في أمثالها من قبل .

(تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ) أى إن هذا الكتاب الكريم

أنزله العزيز الغالب القاهر لكل شيء ، الحكيم في تديره لكل ما خلق ، فهو سبحانه مع قهره للعوالم المادية والروحية لا يتصرف إلا بالحكمة كما يشاهد في النبات والحيوان والأجسام الإنسانية ودوران الكواكب وانتظامها في سيرها ، فكل ذلك من القهر والغلبة لها مع الحكمة في صنعها ، ومن ثم أعقب ذلك بنتائج العزة والحكمة فقال :

( إن في السموات والأرض لآيات للمؤمنين ) أى إن في السموات السبع اللاتي منهن ينزل الغيث ، وفي الأرض التي منها يخرج الخلق — لأدلة واضحة للمصدقين بالحجج إذا تأملوها وفكروا فيها تفكير من يسلك السبيل القويم ، فيرتب المقدمات ليصل منها إلى النتائج التي هي لازمة لها بحكم النظام الفكري ، والترتيب العقلي . وبعد أن ذكر الأدلة الكونية التي في الآفاق أتبعها بذكر الأدلة التي في الأنفس فقال :

( وفي خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون ) أى وإن في خلق الله إياكم على أطوار مختلفة من تراب ثم من نقطة إلى أن تصيروا أناساً ، وفي خلق ما تفرق في الكون من الدواب — لحججاً لقوم يوقنون بحقائق الأشياء فيقررونها بعد العلم بصحتها .

( واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الأرض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون ) أى وإن في تعاقب الليل والنهار عليكم ، هذا بظلمته وسواده ، وهذا بنوره وضيائه ، وفيما أنزل الله من السماء من مطر تحيا به الأرض بعد موتها ، فتهتز بالنبات والزرع من بعد جدوبها وقحوطها ، فتخرج أرزاق العباد وأقواتهم ، وفي تصريف الرياح لمنافعكم شمالية مرة وجنوبية أخرى ، صبا مرة ، ودبوراً أخرى — لأدلة وحججاً لله على خلقه الذين يعقلون عن الله حججه ويفهمون ما وعظهم به من الآيات والعبير .

وقصارى ماسلف — إنكم إذا تأملتم الحكم المنبثة في السموات والأرض  
آمنتم بوحدة خالقها وقدرته، فإذا ازددتم علماً، ازداد تثبتكم وفهمكم فصرتم موقنين بها  
لأن الإيقان يكون بتوافر الأدلة وتكاثرها، ومتى أيقنتم بحال هذا الكون وحسن  
نظامه أصبحتم من ذوى العقول الناضجة، والأفكار النافذة في أسرار هذا الكون  
وبدع صنعه، فتستطيعون أن تنتفعوا بما فيه وتسخره لمنافعكم في هذه الحياة  
الليثة بالمطالب.

وإجمال ذلك — إن أول المراتب الإيمان بالله، فإذا ازداد المرء علماً وحكمة  
وبحثاً في دقائق الأشياء وعظائماً أصبح موقناً به، وكلما ازداد بحثاً ازداد عقله  
دراية وفهما لأسرار هذا الكون، فسخره لمنافعه، واستفاد من نظمته التي وجد عليها  
وعرف أنه لم يخلق عبثاً، بل خلق للانتفاع بما في ظاهره وباطنه، علوية وسفلية،  
أرضه وسمائه، نوره وظلامه، فكانه يقول: إنا أمرناكم بالنظر في العالم لتؤمنوا،  
فإذا ازددتم علماً أيقنتم بي، وذلك كله مما يربى عقولكم ويكملها إلى أقصى حدود  
طاقاتها البشرية.

تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَنْتَلِهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبَأَى حَدِيثِ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ  
يُؤْمِنُونَ (٦) وَيَلْ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (٧) يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ  
يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٨) وَإِذَا عَلِمَ مِنْ  
آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ (٩) مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ  
وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ  
عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠) هَذَا هُدًى، وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ  
مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٌ (١١).

## شرح المفردات

الأفالك : كثير الإفك والكذب ، والأثيم : كثير الإثم والمعاصى ، والإصرار على الشيء : ملازمته ، من ورائهم : أى من بعد آجالهم ، يغنى : أى يدفع ، أولياء : أى أصناما ، والرجز : أشد العذاب .

## المعنى الجملى

بعد أن ذكر آيات القرآن العظيم — أشار إلى ما لها من علو المرتبة ورفيع الدرجة ، ثم أوعد من كذبوا بها بعد سماعها وأصروا على كفرهم بها — بالويل والثبور ، وعظائم الأمور ، ثم بين أن عاقبتهم النار ، وبئس القرار ، ولا تنفعهم أصنامهم شيئا ، ولا تدفع عنهم ما قدر لهم من العذاب .

## الإيضاح

( تلك آيات الله تنتوها عليك بالحق ) أى هذه آيات القرآن بما فيها من حجج وبيّنات ، تنتوها عليك متضمنة للحق .

( فبأى حديث بعد الله وآياته يؤمنون ؟ ) أى فبأى حديث أيها القوم بعد حديث الله الذى يتلوه على رسوله ، وبعد حججه وبرهاناته التى دلكم بها على وحدانيته — تصدقون إن كذبتكم به .

والخلاصة — إذا كنتم لا تؤمنون بهذه الآيات ولا تنقادون لها ، فم تؤمنون ؟ وإلام تنقادون ؟

وبعد أن بين للكفار آياته وذكر أنهم إن لم يؤمنوا بها فبأى حديث بعدها يؤمنون ؟ أتبعه بالوعيد العظيم لهم فقال :

(ويل لكل أفاك أثيم) أى فالويل أشد الويل ، والعذاب أقسى العذاب لكل كذاب فى قوله ، أثيم فى فعله .

وبعد أن وصف هذا الأفاك بالإثم أولاً ، أتبعه بوصفه بالاستكبار عن سماع الآيات فقال :

(يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصرّ مستكبراً كأن لم يسمعها) أى إذا سمع آيات الله تقرأ عليه وهى مشتملة على الوعد والوعيد والإنذار والتبشير والأمر والنهى والحكم والآداب ، أصرّ على الكفر بها وجعلها عناداً كأنه ماسمها .

ثم أوعده على ما فعل عذاباً أليماً فى نار جهنم فقال :

(فبشره بعذاب أليم) أى فبشره أيها الرسول بالعذاب المؤلم الموجه فى جهنم وبئس القرار .

وفى تسمية هذا الخبر الحزن بشرى ، وهى لا تكون إلا فى الأمر السار — تهكم بهم واحتقار شأنهم ، فهو من وادى قوله للكافر « ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ لَكَرِيمٌ » وقول الشاعر :

\* تَحِيَّةُ يَدْنِهِمْ ضَرْبٌ وَجِيعٌ \*

نزات الآية فى النظر بن الحارث وكان يشترى أحاديث الأعاجم ويشغل بها الناس عن استماع القرآن ، وهى عامة فى كل من كان صادداً عن الدين مستكبراً عن اتباع هدايته .

(وإذا علم من آياتنا شيئاً اتخذها هزوا) أى وإذا وصل إليه خبرها وبلغه شئ منها جعلها هزوا وسخرية ، فقد روى أن أبا جهل حين سمع قوله تعالى « إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ طَعَامُ الْأَثِيمِ » دعا بتمر وزُبد وقال لأصحابه : تَزَقُّوا من هذا ، ما بعدكم محمد إلا شهداً ، وحين سمع قوله « عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ » أى على النار قال : إن كانوا تسعة عشر فأنا ألقاهم وحدى .



ثم ذكر ما يصيب هؤلاء من العذاب فقال :

( أولئك لهم عذاب مهين ) أى أولئك الأفاكون المتصفون بتلك الصفات لهم العذاب الذى يهينهم ويذلهم فى نار جهنم بما كانوا فى الدنيا يستكبرون عن طاعة الله واتباع آياته واتخاذها هزوا .

( من ورائهم جهنم ) أى ومن وراء ما هم فيه من التعزز بالدنيا والتكبر جهنم ، والمراد أنها من قدامهم لأنهم متوجهون إليها .

( ولا يغنى عنهم ما كسبوا شيئا ) أى ولا يدعم العذاب عنهم ما كسبوا من الأموال والأولاد .

( ولا ما اتخذوا من دون الله أولياء ) أى ولا تغنى عنهم أصنامهم التى عبدوها من دون الله شيئا .

( ولهم عذاب عظيم ) أى ولهم من الله يومئذ عذاب عظيم لا يقدر قدره .

( هذا هدى ) أى هذا القرآن الذى أنزلناه إليك أيها الرسول هاد إلى الحق وإلى صراط مستقيم لمن اتبعه وعمل بما فيه .

( والذين كفروا بآيات ربهم لهم عذاب من رجز أليم ) أى والذين جحدوا بآياته الكونية فى الأنفس والآفاق وآياته المنزلة على السنة رسله لهم العذاب المؤلم الموجه يوم القيامة .

اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٢) وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُتَفَكَّرُونَ (١٣) قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا

يَكْسِبُونَ (١٤) مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلِمَ أَنْهُ إِلَىٰ رَبِّكُمْ  
تُرْجَعُونَ (١٥)

### شرح المفردات

سخر : هبأ ، الفلك السفينة ، والابتغاء : الطلب ، يغفر : أى يعمفو ويصفح ،  
لا يرجون : أى لا يتوقعون حصولها ، وأيام الله : وقائمه بأعداء دينه كما يقال لوقائع  
العرب أيام العرب ، والقوم هم المؤمنون الفاعلون .

### المعنى الجملى

بعد أن ذكر فيما سلف الحجاج الدالة على ربوبيته ووحدانيته — أردف ذلك  
بذكر آثارها ، فمن ذلك تسخير السفن فى البحار حاملة للأقوات والمتاجر رجاء أن  
تشكروا ما أنعم به عليكم ، ومنها تسخير ما فى السموات والأرض من شمس وأقار  
وبحار وجبال ، لتنتفعوا بها فى مرافقكم وشئونكم المعيشية .

ثم أمر المؤمنين بأحسن الأخلاق ، فطلب إليهم أن يصفحوا عن الكافرين  
ويحتملوا أذامهم ، وعند الله جزاؤهم ، فمن عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها ، ويوم  
القيامة يعرضون على ربهم ويحازى كل نفس بما كسبت من خير أو شر .

### الإيضاح

( الله الذى سخر لكم البحر لتجرى الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم  
تشكرون ) أى إن ذلك الخالق الواحد الذى أتمت لكم الأدلة على وجوده — هو  
الذى يسر لكم استخدام البحر لتجرى فيه السفن بإذنه وقدرته ، حاملة أقواتكم  
ومتاجرکم لتقوم بشئونكم المعيشية ، ولتطلبوا رزق ربكم منه بالعوص للدرّ تارة

والصيد تارة أخرى ، ولتشكروه على ما أفاض عليكم من هذه النعم ، فتعبده وتطيعوه فيما يأمركم به وينهاكم عنه .

( وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعا منه إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون ) أى وسخر لكم جميع ما خلقه فى سمواته وأرضه مما تتعلق به مصالحكم وتقوم به معاشكم ، فما سخر لكم من المخلوقات السماوية الشمس والقمر والنجوم النيرات والمطر والسحاب والرياح ، ومن المخلوقات الأرضية الدواب والأشجار والجبال والسفن رحمة منه وفضلا ، وكل هذه أدلة على أنه الله الذى لا إله غيره لمن تأمل فيها واعتبرها وتدبرها حق التدبر .

والخلاصة — إن العالم كله كأنه جسم واحد يحتاج كل جزء منه إلى الأجزاء الباقية ، فلا يستقيم مطر بلا حرارة شمس ، ولا تسير سفن إلا بهواء أو فحم أو كهرباء وما شاكل ذلك ؛ فالعالم كله كساعة منتظمة لا يستقيم سيرها إلا إذا استكملت آلاتها وعدها .

وعن طاوس قال : جاء رجل إلى عبد الله بن عمرو بن العاص فسأله م خلق الخلق ؟ فقال من الماء والنور والظلمة والهواء والتراب ، قال فم خلق هؤلاء ؟ قال لا أدري ، ثم أتى الرجل عبد الله بن الزبير فسأله ، فقال مثل قول عبد الله بن عمرو ، فأتى ابن عباس فسأله م خلق الخلق ؟ فقال من الماء والنور والظلمة والريح والتراب ، قال م خلق هؤلاء ، فقرأ ابن عباس : « وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى السَّمَوَاتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ » فقال الرجل ما كان ليأتى بهذا إلا رجل من أهل بيت النبوة .

ولما علم سبحانه عباده دلائل التوحيد والقدرة والحكمة — أردفه بتعليمهم فضائل الأخلاق فقال :

( قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله ) أى قل للذين صدقوا الله

ورسوله : اعفوا واصفحوا عن هؤلاء المشركين الذين لا ينفخون بأَسِ الله ونقمته ،  
إذا نالكم منهم أذى ومكره قاله مجاهد .

روى الواحدى والتشيرى عن ابن عباس أن الآية نزلت في عمر بن الخطاب مع  
عبد الله بن أبيّ في غزوة بني المصطلق ، فإنهم نزلوا على بئر يقال لها المُرَيْسِع ،  
فأرسل عبد الله غلامه ليستقي فأبطأ عليه ، فقال ما حبسك ؟ قال غلام عمر قعد على فم  
البئر ، فما ترك أحدا يستقي حتى ملأ قرب النبي صلى الله عليه وسلم وقرب أبي بكر  
وملأ لمولاه ، فقال عبد الله : ما مثلنا ومثل هؤلاء إلا كما قيل « سَمْنٌ كَلَبَكَ يَا كَلَكُ »  
فبلغ عمر قوله ، فاشتعل على سيفه يريد التوجه إليه ليقته ، فأنزل الله هذه الآية :

وروى ميمون بن مهران عن ابن عباس سببا آخر قال : لما نزل قوله تعالى :  
« مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا » قال يهودى بالمدينة يسمى فَنَحْصًا ،  
احتاج رب محمد . قال فلما سمع عمر بذلك اشتعل على سيفه وخرج في طبه ، فجاء  
جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إن ربك يقول لك « قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا  
يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ » فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في طلب  
عمر ، فلما جاء قال : ( يا عمر ضع سيفك ) قال يا رسول الله صدقت . أشهد إنك  
أرسلت بالحق ، ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم الآية . فقال عمر : لا جرم والذي  
بعثك بالحق لا ترى الغضب في وجهي .

ثم علل الأمر بالمغفرة قتال :

( ليجزى قوما بما كانوا يكسبون ) أى ليجزى الله تعالى يوم القيامة قوما  
بما كسبوا في الدنيا من أعمال طيبة ، من جعلتها الصبر على أذى الكفار والإغضاء  
عنهم بكظم الغيظ واحتمال المكروه — ما لا يحيط به الوصف من الثواب العظيم  
في جنات النعيم .

ولما رغب سبحانه ورهب وقرر أنه لا بد من الجزاء — أبان أن النفع والضر لا يعدو الحسن والمسيء فقال :

( من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها ) أى من عمل من عباد الله بطاعته ، فانتهى إلى أمره وازدجر عن نهيه — فلنفسه عمل ، ولها طلب الخلاص من عذابه ، والله غنى عن كل عامل ، ومن أساء عمله فى الدنيا بمعصية ربه فعلى نفسه جنى ، ولها اكتسب الضر .

ثم بين وقت الجزاء فقال :

( ثم إلى ربكم ترجعون ) أى ثم تصيرون إلى ربكم حين العرض للحساب ، فيجازى المحسن منكم بإحسانه ، والمسيء بإساءته .

وَلَقَدْ آتَيْنَا ابْنَ إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ  
مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (١٦) وَآتَيْنَاهُمْ بَيْنَاتٍ مِنَ الْأَمْرِ  
فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا يَبِغْتُهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ  
يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (١٧) ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ  
الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (١٨) إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ  
مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِىُّ الْمُتَّقِينَ (١٩)  
هَذَا بَصَإٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (٢٠) .

### شرح المفردات

الكتاب : المراد به الكتب التى نزلت على أنبيائهم ، الحكم : الفصل بين  
الناس فى الخصومات : لأنهم كانوا ملوكا ، بينات من الأمر : أى دلائل واثبات

في أمر الدين ؛ ويندرج فيها معجزات موسى عليه السلام ، بغيًا : أى حسداً وعناداً ، على شريعة من الأمر : أى على طريقة ومنهاج في أمر الدين . وأصل الشريعة مورد الماء في الأنهار ونحوها ، وشريعة الدين يرد منها الناس إلى رحمة الله والقرب منه ، بصائر للناس : أى معالم للدين بمنزلة البصائر في القلوب .

### المعنى الجملى

اعلم أن الله سبحانه بين أنه أنعم على بنى إسرائيل بنعم كثيرة ، وقد حصل بينهم الاختلاف بغيًا وحسدًا ، وجاء ذكر هذا تسلية لرسوله بأن قومه ليسوا ببديع في الأمم بل طريقهم طريق من تقدمهم ، ثم أمر رسوله بأن يتمسك بالحق ولا يكون له غرض سوى إظهاره ولا يتبع أهواء الجاهلين الضالين ، ثم ذكر أن القرآن معالم للهداية تهتدى بها القلوب الضالة عن طريق الحق ، فتلزم الجادة وتصل إلى طريق النجاة .

### الإيضاح

( ولقد آتينا بنى إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين . وآتيناهم بينات من الأمر ) امتنّ سبحانه على بنى إسرائيل بما أنعم به عليهم من وافر النعم الدينية والدنيوية وذكر من ذلك :

( ١ ) إنزال التوراة على موسى فيها معالم للهدى وشرائع للناس تهديهم إلى سواء السبيل .

( ٢ ) إرسال الرسل فكثروا فيهم الأنبياء بما لم يكن لأمة مثله .

( ٣ ) القضاء بين الناس والفصل في خصوماتهم ، إذ كان الملك فيهم ، فاجتمع لهم حكم الدين وحكم الدنيا .

( ٤ ) إيتاؤهم طيبات الأرزاق فكانوا ذوى ترف ونعيم في معاشهم ، وكان

منهم الملوك ذوو الحظ الأوفر من المعظمة والفضل وسعة الجاه والأمر والنهى وبسطة العيش كداود وسليمان عليهما السلام .

(٥) تفضيلهم على الناس جميعا ، إذ لم يكن فى أمة أنبياء كما كان فيهم ، ولم يجمع الله بين الملك والنبوة فى شعب كما اجتمع فيهم ، فهم أرفع الشعوب منقبة .  
قال ابن عباس : لم يكن أحد من العالمين أكرم على الله ولا أحب إليه منهم اه  
وقد آتاهم من الآيات المرئية والمسموعة وأكثر فيهم من الأنبياء بما لم يفعله بغيرهم  
من سبق .

(٦) إيتاؤهم أحكاما ومواعظ مؤيدة بالمعجزات ، وقد كان هذا مما يستدعى ألفتهم واجتماعهم ، وكانوا كذلك لا يختلفون إلا اختلافا يسيرا لا يضر مثله ، فلما جاءهم العلم اختلفوا كما أشار إلى ذلك بقوله :

( فما اختلفوا حتى جاءهم العلم بغيا بينهم ) أى فما حدث فيهم هذا الخلاف إلا بعد قيام الحجة طلبا للرياسة وحسدا فيما بينهم ، وقد سبق تفصيله فى سورة حمّ عسق :

ثم وكل سبحانه أمر المختلفين إليه للقضاء بينهم يوم القيامة فقال :  
( إن ربك يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ) أى إن ربك سبحانه يقضى بين المختلفين من بنى إسرائيل بغيا وحسدا فيما كانوا فيه يختلفون فى الدنيا بعد العلم الذى آتاهم ، والبيان الذى جاءهم منه ، ويجعل الفلج للمحق على المبطل ؛ والمقصد من هذا أنه لا ينبغي أن يغترّ المبطل بنعم الدنيا ، فإنها وإن ساوت نعم الحق أو زادت عليها ، فهو سيرى فى الآخرة ما يسوءه .

وفى هذا تحذير لهذه الأمة أن تسلك مسلكهم ، وأن تسير على نهجهم .  
ولما بين أنهم أعرضوا عن الحق بغيا وحسدا — أمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يعدل عن هذه الطريقة وأن يستمسك بالحق فقال :

(ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون) أى ثم جعلناك بعد بنى إسرائيل الذين وصفت لك صفتهم — على نهج خاص من أمر الدين ، فاتبع ما أوحى إليك ولا تتبع ما دعاك إليه الجاهلون الذين لا يعلمون توحيد الله ولا شرائعه لعباده وهم كفار قريش ومن وافقهم فهلك .

ثم علل النهى عن اتباع أهوائهم فقال :

(إنهم لن يغفوا عنك من الله شيئاً) أى إن هؤلاء الجاهلين بربهم لا يدفعون عنك شيئاً بما أَرَادَهُ بك إن اتبعت أهواءهم وخالفت شريعته .

ثم بين أولياء الكافرين وأولياء المؤمنين فقال :

(وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض) أى وإن الكافرين ليتولى بعضهم شئون بعض فى الدنيا ، أما فى الآخرة فلا ولى ولا شفيع ولا نصير يجلب لهم ثواباً ولا يدفع عنهم عقاباً .

(والله ولىّ المتقين) أى والمتقون المهتدون وليهم الله وهو ناصرهم ومخرجهم من الظلمات إلى النور ، والكافرون أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات ، فما أبعد الفرق بين الولايتين :

شتان ما يوصى على كورها ويوم حيّان أخى جابر  
وقصارى ماسلف — دم على ما أنت عليه من اعتمادك على ولاية ربك ونصرته ،  
وأعرض عما سواه .

ثم بين فضل القرآن وذكر ما يجلبه التمسك بحبله المتين فقال :

(هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون) أى هذا القرآن دلائل للناس فيما يحتاجون إليه من أمر الدين وبيّنات تبصرهم وجه الفلاح ، وتعرفهم سبيل الهدى وهو هدى ورحمة لقوم يوقنون بصحته ، وهو تنزيل من رب العالمين .

وإنما خص الموقنين بأنه لهم هدى ورحمة ، لأنهم هم الذين ينتفعون بما فيه دون من كذّب به من أهل الكفر فإنه عليهم عى .



أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْمَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءٌ مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (٢١) وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٢٢) أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَصْلَهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَن يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٢٣) .

### شرح المفردات

الاجتراح : الاكتساب ، ومنه الجارحة للأعضاء التى يكتسب بها كالأيدى ،  
والمراد بالسيئات : سيئات الكفر والإشراك بالله .

### المعنى الجملى

بعد أن ذكر الفارق بين الكافرين والمؤمنين فى الولاية ، فأبان أن الأولين بعضهم أولياء بعض ، وأن الآخرين وليهم الله — أردف ذلك بذكر الفارق بينهم فى الحيا والمات ، فالחסنون مرحومون فى الحالين ، ومجترحو السيئات مرحومون فى الدنيا فحسب ، ثم ذكر الدليل على هذا بأن الله ما خلق الخلق إلا بالحق المقتضى للعدل والاتصاف للمظلوم من الظالم والتفاوت بين الحسن والسيئ فى الجزاء ، وإذا لم يكن هذا فى الحيا كان فى دار الجزاء حتما ، لتجزى كل نفس بما كسبت ، فلا نظلم بنقص ثواب أو بمضاعفة عقاب .

ثم عجب سبحانه من ركب رأسه واتبع هواه وترك الهدى وأضله الله وهو العليم باستعداده وخبث طويته ، وأنه من يميل إلى تدسية نفسه واجتراح الآثام والمعاصى ،

فهو ممن ختم الله على سمعه وقلبه ، فلا يتأثر بعظة ولا يفكر في آية ، وجعل على بصره غشاوة مانعة من الاستبصار والاعتبار ، فمن بعد الله يهديه ؟ أفلا تتذكرون وتتفكرون في هذا ؟

روى الكلبي في تفسيره أن عتبة وشيبة والوليد بن عتبة قالوا لعل وحمة وجمع من المؤمنين : والله ما أنتم على شيء ، ولو كان ماتقولونه حقا ، لحالنا أفضل من حالكم في الآخرة كما هو أفضل في الدنيا ، فنزلت الآية « أم حسب الذين اجترحوا السيئات الخ » .

### الإيضاح

(أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء بحياهم ومماتهم) أى أيظن هؤلاء الذين اكتسبوا الإيمان والمعاصي في الدنيا فكفروا بالله وكذبوا الرسل وخالفوا أمره وعبدوا غيره ، أن نجعلهم كالذين آمنوا به وصدقوا رسله ، فساوى بينهم في دار الدنيا وفي الآخرة — كلا لا يستوون في شيء منهما ؛ فإن أهل السعادة في عز الإيمان والطاعة وشرفهما في الحيا ، وفي رحمة الله ورضوانه في المات ؛ وأهل الشقاء في دل الكفر والمعاصي وهوانهما في الحيا ، وفي لعنة الله والعذاب الخلد في المات ، فشتان ما بينهما وما أبعد ما بين الثريا والثرى . ونحو الآية قوله تعالى : « لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ ، أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ الْفَائِزُونَ » وقوله : « أَقْمَنَ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنَ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ » (سواء ما يحكمون) أى سواء ما ظنوا وبعُد أن نساوى بين الأبرار والفجار في الدار الآخرة وفي هذه الدار .

وفي الآية إرشاد إلى تبيين حالى المؤمن العاصي والمؤمن الطائع . وقد أثر عن كثير من الناسكين الخبيثين إلى ربهم أنهم كانوا يبكون عند تلاوة هذه الآية حتى سموها مبكاة العابدين .

أخرج عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد والطبرانى وجماعة عن أبى الضحى قال :  
قرأ تميم الدارى سورة الجاثية فلما أتى على قوله : « أم حسب الذين اجترحوا  
السيئات » الآية لم يزل يكررها ويبكى حتى أصبح وهو عند المقام .  
وأخرج ابن أبى شيبه عن بشير مولى الربيع بن خيثم أن الربيع كان يصلى فمر  
بهذه الآية ( أم حسب الذين ) فم يزل يرددنها حتى أصبح .  
وكان الفضيل بن عياض يقول لنفسه إذا قرأها : ليت شعرى من أى  
الفرقتين أنت ؟ .

ثم أقام الدليل على عدم التساوى وأبان حكمة ذلك فقال :  
( وخلق الله السموات والأرض بالحق ) أى لم يخلق الله السموات والأرض  
للاجور والظلم ، بل خلقهما للحق والعدل ، ومن العدل أن يخاف بين الحسن والمسيء  
فى العاجل والآجل .

( ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون ) أى وليثيب كل عامل بما هو  
له أهل . فلا يبخس المحسن ثواب إحسانه ، أو يحمل عليه جرم غيره فيعاقبه به ،  
أو يجعل للمسيء ثواب إحسان غيره .  
والخلاصة — كل عامل يجزى بما كسبت يده ، ولا يظلم بنقص ثواب ،  
ولا بتضعيف عقاب .

ثم عاد الكلام إلى بيان أحوال الكافرين وذكر جنائياتهم على أنفسهم فقال .  
( أفرأيت من اتخذ إلهه هواه ؟ ) أى انظر وأعجب من حال من ركب رأسه ،  
وترك الهدى ، وأطاع الهوى ، فكأنه جعله إلها يعبد من دون الله ، فهو لا يهوى  
شيئاً إلا عمله ، لا يخاف ربا ولا يخشى عقاباً ، ولا يفكر فى عاقبة ما يعمل .

وفى هذا إيماء إلى ذم اتباع هوى النفس ، ومن ثم قال وهب بن منبّه : إذا  
شككت فى خير أمرين فانظر أبعدهما من هواك فأته . وقال سهل التستري : هواك  
داؤك ، فإن خالفته فدواؤك ، وقال الإشبيلي الزاهد :

فخالف هواها واعصها إن من يطعم هوى نفسه ينزع به شر منزع  
ومن يطعم النفس اللجوجة تُرَدِّه وترم به في مصرع أى مصرع  
وقال البوصيرى فى بردته :

وخالف النفس والشیطان واعصهما وإن هما محضاك النصح فاتهم  
وقال ابن عباس : ما ذكر الله هوى فى القرآن إلا ذمه ، قال تعالى « وَاتَّبِعْ  
هَوَاهُ قَتَلَهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ » وقال « وَاتَّبِعْ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا » وقال  
« وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ » .

وروى عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبى صلى الله عليه وسلم « لا يؤمن  
أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئتُ به » وقال أبو أمامة: سمعت النبى صلى الله  
عليه وسلم يقول « ما عُيِدَ تحت السماء إله أبغض إلى الله من الهوى » وروى شذاد  
ابن أوس عن النبى صلى الله عليه وسلم « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد  
الموت ، والفاجر من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله » وعنه عليه السلام أنه قال  
« إذا رأيت شحاً مطاعاً وهوى متبعاً ودنيا مؤثرة ، وإعجاب كل ذى رأى برأيه  
فمليك بخاصة نفسك ، ودع عنك أمر العامة » وعنه أنه قال « ثلاث مهلكات ، وثلاث  
منجيات ، فالمهلكات شح مطاع ، وهوى متبع ، وإعجاب المرء بنفسه ؛ والمنجيات  
خشية الله فى السر والعلن ، والقصد فى الغنى والفقر ، والعدل فى الرضا والغضب » .  
وحسبك ذمّاً لاتباع الهوى قوله تعالى « وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى  
النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى . فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى » .

( وأضله الله على علم ) أى خذله الله فلم يجعله يسلك سبيل الرشاد ، لأنه قد علم  
أنه لا يهتدى ولو جاءتة كل آية ، لما فى جوهر نفسه من الميل إلى ارتكاب  
الإجرام . واتباع الشهوات ، فهو يوغل فى القبائح دون زاجر ولا وازع .

(وختم على سمعه) أى وقد طبع على سمعه ، فلا يتأثر بالآيات تتلى عليه ليعتبرها ولا يتدبرها ليعقل ما فيها من النور والهدى .

(وقلبه) أى وختم على قلبه ، فلا يعى حقاً ، ولا يسترشد إلى صواب .

(وجعل على بصره غشاوة) تمنعه أن يبصر حجج الله وآياته فى الآفاق والأنفس ، فيستدل بها على وحدانيته ويعلم بها أن لا إله غيره .

قل مقاتل : نزلت فى أبى جهل . ذلك أنه طاف بالبيت ذات ليلة ومعه الوليد ابن المغيرة ، فتحدثا فى شأن النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال أبو جهل : والله إنى لأعلم أنه صادق ، فقال له مَهْ ، وما ذلك على ذلك ؟ قال : يا أبا عبد شمس كنا نسميه فى صباه الصادق الأمين ، فلما تم عقله وكل رشده نسميه الكذاب الخائن ، والله إنى لأعلم أنه صادق ، قال فما يمنعك أن تصدقه وتؤمن به ؟ قال : تتحدث عنى بنات قريش أنى اتبعت يتيم أبى طالب من أجل كسرة ، واللوات والعزرى إن اتبعته أبدا فنزلت « وختم على سمعه وقلبه » .

ونحو الآية قوله تعالى « إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ . خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ » .

نم ذكر أن مثل هذا لا أمل فى هدايته فقال :

(فمن يهديه من بعد الله ؟ أفلا تذكرون ؟) أى فمن يوقه لإصابة الحق ، وإبصار حجة الرشد بعد إضلال الله إياه ، أى لا أحد يستطيع أن يفعل ذلك ، أفلا تذكرون أيها القوم ففعلوا أن من فعل الله به ما وصفنا ، فمن يهتدى أبداً ، ولن يجد لنفسه ولياً ولا مرشداً .

وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ  
وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ (٢٤) وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا  
بَيِّنَاتٍ مَا كَانَ حُجَّتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتُوا بِآيَاتِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٢٥)  
قُلِ اللَّهُ يُخَيِّبُكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُجْمَعُ كُفْرُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ  
فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٢٦) .

### المعنى الجملى

بعد أن ذكر سبحانه أن المشركين قد اتخذوا إلههم هواهم ، وأن الله قد أضلهم  
على علم بحالهم ، وأنه ختم على سمعهم وقلوبهم وجعل على بصرهم غشاوة — ذكر هنا  
جناية أخرى من جنائياتهم ، وحماقة من حماقتهم ، تلك أنهم أنكروا البعث وقالوا  
ماهى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر ، وما ذلك منهم إلا ظنون  
وأوهام لامستند لها من تقل ولا عقل ، ولم يجدوا حجة يقولونها إلا أن قالوا : إن  
كان ما تقوله حقا فارجعوا آباءنا الموتى إلى الحياة ، فأمر الله رسوله أن يجيبهم بأن  
الله هو الذى يحييهم ثم يميتهم ثم يجمعهم فى يوم لا شك فيه ، ولكن أكثر الناس  
لا يعلمون حقيقة ذلك .

### الإيضاح

(وقالوا ماهى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا) أى وقال المشركون الذين سبق  
ذكر بعض أوصافهم : لا حياة بعد هذه الحياة التى نحن نعيش فيها ، فموت نحن  
وتحيا أبائنا من بعدنا — وهذا تكذيب صريح منهم للبعث والمعاد .  
وقصارى ذلك — ما نتم إلا هذه الدار يموت قوم ويعيش آخرون ، وليس  
هناك بعث ولا قيامة .

( وما يهلكنا إلا الدهر ) أى وما يفنينا إلا مرّة الليل والأيام ، فرورها هو المؤثر فى هلاك الأنفس ، ويضيفون كل حادث إلى الدهر وأشعارهم ناطقة بذلك قال :  
أشاب الصغير وأفنى الكبير كثر الغداة ومرّ العشى  
وقد كان العرب فى جاهليتهم إذا أصابتهم شدة أو بلاء أو نكبة قالوا يا خيبة الدهر ، وقد جاء النهى عن سبّ الدهر فجاء فى الحديث القدسى يقول الله عز وجل :  
« يؤذيني ابن آدم يسبّ الدهر وأنا الدهر ، بيدى الأمر ، أقلب الليل والنهار » .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « يقول الله تعالى : استقرضت عبدى فلم يعطى ، وسبى عبدى يقول وادهراه وأنا الدهر » .  
قال الشافعى وأبو عبيدة وغيرهما من الأئمة فى تفسير قوله صلى الله عليه وسلم  
« لاتسبوا الدهر فإن الله هو الدهر » كان العرب فى الجاهلية إذا أصيبوا بشدة أو بلاء قالوا يا خيبة الدهر ، فيسندون تلك الأفعال إلى الدهر ويسبونه ، وإنما فاعلها هو الله ، فكأنهم إنما سبوا الله عز وجل لأنه فاعل ذلك فى الحقيقة ، فلذا نهى عن سب الدهر بهذا الاعتبار ، لأنّ الله تعالى هو الدهر الذى يعنونه ، ويسندون إليه تلك الأفعال .

ثم نعى عليهم مقالهم هذا الذى لادليل عليه فقال :

( وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون ) أى وما لهم بقصر الحياة على حياة الدنيا ، ونسبة الإهلاك إلى الدهر — علم يستند إلى عقل أو نقل ، وقصارى أمرهم اللظن والتخمين من غير أن يكون لهم ما يتمسكون به من حجة نافذة .

وفى الآية إشارة إلى أن القول بغير بينة ولا حجة — لا ينبغي أن يعول عليه ، وأن اتباع الظن منكرو عند الله .

ثم ذكر شبهتهم على إنكار البعث فقال :

( وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات ما كان حجّتهم إلا أن قالوا اثبتوا بآبائنا إن

كنتم صادقين ) أى وإذا تلى على هؤلاء المشركين الذين سبق القول فى جرائمهم — آيات الكتاب الدالة على أن البعث حق ، وأن الله سيعيد الخلق يوم القيامة وينشئه نشأة أخرى — لم يكن لهم من حجة فى دحض هذا إلا أن قالوا إن كان ما تقولونه حقاً فانشروا لنا آباءنا الأولين وابعثوهم من قبورهم أحياء حتى نعتقد صحة ما تقولون .

وهذا قول آفون وكلام لا ينبغى أن يصدر من عاقل ، فإنه لا يلزم من عدم حصول الشيء فى الحال كإعادة آبائهم التى طلبوها فى الدنيا — امتناعه فيما بعد إذا قامت القيامة وبعث الله الموتى من قبورهم للعرض والحساب .

وتسمية كلامهم الزائف حجة — ضرب من التهمك بهم على نحو قوله :  
\* تَحِيَّةُ بَيْنِهِمْ ضَرْبٌ وَجِيعٌ \*

ثم أمر سبحانه رسوله أن يرد عليهم فقال :

( قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم إلى يوم القيامة ) أى قل لهؤلاء المشركين المنكرين للبعث : الله يحييكم ما شاء أن يحييكم فى الدنيا ، ثم يميتكم فيها متى شاء ، ثم يجمعكم جميعاً أولكم وآخركم صغيركم وكبيركم يوم القيامة .  
ثم أكد ذلك بقوله :

( لا ريب فيه ) أى لا ريب فى هذا الجمع والبعث ، فإن من قدر على البدء قدر على الإعادة ، والحكمة قاضية بذلك ، لتجزى كل نفس بما كسبت ، والأديان جميعاً متضافرة على تحقيقه وحصوله يوم القيامة .

وتصارى ما سلف — إن البعث أمر ممكن أخبر به الأنبياء الصادقون ، والحكمة تقتضى حصوله والعقل يؤيد ذلك ، فهو واقع لا محالة .

( ولكن أكثر الناس لا يعلمون ) أى ولكن أكثر الناس ينكرون البعث ويستبعدون عودة الأجساد بعد موتها وحين تكون عظاماً نخرة كما قال :



« إِنَّمَا يَرَوْنَهُ بِعِيدٍ وَرَأَهُ قَرِيبًا » أى يرون وقوعه بعيدا والمؤمنون يرونه قريبا ، وما دعاهم إلى ذلك إلا جهلهم وقصر نظرهم ، لا لأن فيه شائبة ريب .

وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْفِثُ الْمُجْرِمُونَ (٢٧) وَيَرَى كُلُّ أُمَّةٍ جَائِيَةً ، كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٨) هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٩) .

### شرح المفردات

جائية : أى باركة على الركب مستوفزة، وهى هيئة المذنب الخائف المنتظر مايكره، إلى كتابها : أى إلى صحيفة أعمالها التى كتبها الحفظة لتحاسب على ما قيد فيها ، ينطق أى يشهد ، نستنسخ أى نجعل الملائكة تكتب وتنسخ :

### المعنى الجملى

بعد أن أثبت فيما سلف أنه تعالى قادر على الإحياء مرة ثانية كما قدر على ذلك فى المرة الأولى — ذكر هنا دليلا آخر على ذلك، وهو أنه تعالى مالك السكون كله ، فهو قادر على التصرف فيه بالإحياء فى الإعادة كما أحياه فى البدء ، ثم ذكر من أهوال هذا اليوم أن كل أمة تمجثو على ركبها وتجلس جلسة الخاصم بين يدى الحاكم ينتظر القضاء ، وكل أمة تدعى إلى صحيفة أعمالها التى كتبتها الحفظة لتحاسب عليها ، ويقال لهم : اليوم تجزون ما كنتم تعملون ، ولا شاهد عليكم أصدق من كتابكم ، فهو صورة أعمالكم قد كتبها الملائكة فى دنياكم .

## الإيضاح

( والله ملك السموات والأرض ) أى إنه تعالى مالك العالم العلوى والسفلى ، جار حكمه فيهما ، دون ماتدعون من دونه من الأوثان والأصنام .  
ثم توعّد الكافرين أهل الباطل فقال :

( ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون ) أى ويوم تقوم الساعة ويحشر الناس من قبورهم للعرض والحساب - سيظهر خسران أولئك المنكرين الجاحدين بما أنزل الله على رسوله من الآيات والدلائل - بدخولهم فى جهنم وبئس المستقر .  
وقد جعلت الحياة والصحة والعقل كأنها رءوس أموال ، والتصرف فيها بطلب السعادة الآخروية يجرى مجرى تصرف التاجر فى ماله طلبا للربح . أما الكفار فقد أتعبوا أنفسهم وتصرفوا فيها بفعل الآثام والإشراك بالله تصرف التاجر الذى لا يحسن التجارة فوُكِس فيها ولم يجد فى العاقبة إلا الخسران والخذلان والطرده من رحمة الله ، وذلك ما لا يرضاه عاقل لنفسه ، يزن الأمور بميزان الحكمة والسادات .

ثم بين حال الأمم فى ذلك اليوم وما تلاقيه من الشدائد انتظارا لفصل القضاء فقال :

(١) ( وترى كل أمة جاثية ) على ركبها لشدة الهول والرعب ، واستعدادها لما أعلها تؤمر به حين فصل القضاء .

(٢) ( كل أمة تدعى إلى كتابها ) الذى أنزل عليها وتعبدها الله به ، وكتابها الذى نسخته الحفظة من أعمالها ، ليطبق أحدهما على الآخر ، فمن وافق كتابه ما أمر به من كتاب ربه نجا ، ومن خالفه هلك وكان من الأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا .

ونحو الآية قوله : « وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِئَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ » .

ثم ذكر أنهم يندرون ويبشرون بما سيبنى عليه حكم القضاء فقال :  
( اليوم تجزون ما كنتم تعملون ) أى ويقال لهم حال دعائهم : اليوم تجازون  
بأعمالكم التى عملتموها فى الدنيا خيرها وشرها .

ثم بين مستندات الحكم وأدلته فقال :  
( هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق ) أى هذا كتابنا الذى كتبته الحفظة ودونت  
فيه أعمالكم — يشهد عليكم شهادة حق دون زيادة ولا نقص ، فهو صورة تطابق  
ما فعلتموه حدو القُدَّة بالقُدَّة .

ثم علل مطابقة هذه الشهادة لأعمالهم فقال :  
( إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون ) أى إنا كنا نأمر الحفظة بنسخ أعمالكم  
وكتابتها وإثباتها عليكم أول فأول فى الدنيا ، فهى وفق ما علمتم بالدقة والضبط .  
وفى هذا إجابة عما يخطر بالبال من سؤال فيقال : ومن يحفظ أعمالنا على كثرتها  
مع طول المدة و بعد العهد ؟ فأجيبوا بهذا الجواب .

فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ  
هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ (٣٠) وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ  
فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنْتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ (٣١) وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ  
وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا  
نَحْنُ بِمُستَيْقِنِينَ (٣٢) وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا  
بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٣٣) وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنَسَاكُمْ كَمَا نَسَيْتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا  
وَمَاوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (٣٤) ذَلِكَ بِأَنكُمْ اتَّخَذْتُمْ

آيَاتِ اللَّهِ هُزُّوْا وَغَرَّكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْمَعُونَ (٣٥) فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٣٦) وَلَهُ الْكِبَرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٣٧) .

### شرح المفردات

في رحمته : أى فى الجنة ، النور : هو الظفر بالبغية ، المبين : أى الظاهر أنه لا فوز وراءه ، آتئ : أى آيات كتبتى التى جاءت فى الشرائع السماوية ، وعد الله أى بأنه يحى الموتى من قبورهم ، بمستيقنين : أى بمتحققين ، وبدا : أى ظهر ، سيئات ما عملوا : أى عقوباتها ، وفاق : أى حل ، ننساكم : أى نترككم ، نسيتم : أى تركتم ، آيات الله : أى حججه ، غرركم : أى خدعتكم . الحياة الدنيا : أى زينتها يستعقبون : أى يطلب منهم العتبي بالتوبة من ذنوبهم ، والإنابة إلى ربهم ، الكبرياء : العظمة والسلطان .

### المعنى الجملى

بعد أن ذكر أهوال العرض والحساب ، وأن أعمال كل أمة تعرض عليها ، ويقال لهم هذا ما كتبتة الحفظة فى الدنيا ، فهو شهادة صدق لاشك فيها — أردف هذا ببيان أنه بعد انتهاء هذا الموقف يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات النعيم ، ويوضح الكافرون على ما فرط منهم فى الدنيا ويقال لهم : لا عذر لكم فى الإعراض عن آياتى حين كانت تقلى عليكم إلا الاستكبار والعناد ، وقد كنتم فى الحياة الأولى إذا قيل لكم إن يوم القيامة آت لاشك فيه ، قلتم لا يقين عندنا به ، وهو موضع حدس وتخمين ، فها هو ذا قد حل بكم جزاء ما اجتريتموه من السيئات ، وما كنتم

تستهزئون به في دنياكم ، إذ قد خدعكم بزخارفها ، فظننتم أن لا حياة بعد هذه الحياة — فلا مأوى لكم إلا جهنم فادخلوها ولا تخرج لكم منها ، ولا عتبي حينئذ ، فلا تنفع توبة مما فرط منكم من الذنوب .

## الإيضاح

فصل سبحانه في هذه الآيات حالى السعداء والأشقياء فقال :

(١) ( فأما الذين آمنوا و عملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته ) أى فأما الذين آمنوا فدخلهم ربهم وعملت جوارحهم صالح الأعمال التى أمر بها الدين ، فيكافئهم ربهم على ما عملوا ويدخلهم جنات النعيم . جاء في الحديث الصحيح أن الله تعالى قال للجنة « أنت رحمتى ، أرحم بك من أشاء » .

ثم بين خطر ما نالوا وعظيم ما أوتوا فقال :

( ذلك هو الفوز المبين ) أى هذا هو الفوز بالبعية التى كانوا يطالبونها ، والغاية التى كانوا يسعون فى الدنيا لبلوغها ، وهو فوز لا فوز بعده .

(٢) ( وأما الذين كفروا أفلم تكن آياتى تتلى عليكم فاستكبرتم وكنتم قوما مجرمين ) أى وأما الذين جحدوا وحدانية الله فيقال لهم تأنبوا وتوبوا : ألم تكن تأتكم رسل فقتلوا عليكم آيات كتبت ، فتستكبرن عن الإيمان بها ؟ ولا عجب فديدنكم الإجماع ، وارتكاب الآثام ، والكفر بالله ، لاتصدقون بميعاد ، ولا تؤمنون بشواب ولا عقاب .

( وإذا قيل إن وعد الله حق والساعة لا ريب فيها قلتم ما ندري ما الساعة ؟ إن نظن إلا ظنا وما نحن بمستيقنين ) أى وكنتم إذا قال لكم المؤمنون : إنه سبحانه ونعالى بأعشكم من قبوركم بعد موتكم ، وإن الساعة التى أخبركم أنه سيقمها لحشركم وجمعكم للحساب والثواب على الطاعة والعقاب على المعصية ، آتية لا ريب فيها ،

فاتقوا الله وآمنوا به ، وصدقوا برسوله ، واعملوا لما ينجيكم من عذابه — قلتم لعنواكم واستكباركم متعجبين مستغربين ، ما الساعة ؟ نحن لا علم لنا بها ، وما نظنها آتية إلا ظنا لا يقين فيه .

ثم ذكر أنهم يقفون موقف المتهم المسئول زيادة في تأنيبهم ثم يحل بهم ما كانوا يستهزئون به من العذاب :

( وبدا لهم سيئات ما عملوا وحق بهم ما كانوا به يستهزئون ) أى وظهرت لهم قبائح أعمالهم التى عملوها فى الدنيا حين قرءوا كتب أعمالهم التى دوتها الحفظة كى لا يكون لهم حجة إذا نزل بهم العذاب ثم جوزوا بما كانوا يهزءون به فى الدنيا ويقولون ما هو إلا أوهام وأباطيل ، وخرافات قد دوتها الميطلون .

ثم ذكر ما يزيد فى تعذيبهم وإلقاء الرعب فى قلوبهم فقال :

( وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا ومآواكم النار وما لكم من ناصرين ) أى وقيل لهم تغليظا فى العقوبة وإمعانا فى التهمك والسخرية : اليوم نترككم فى العذاب ، كما تركتم العمل للقاء يومكم هذا ، وليس لكم مستنقذ ينقذكم منه ، ولا مستنصر يستنصر لكم ممن يعذبكم .

والخلاصة — إنه تعالى جمع لهم ثلاثة ألوان من العذاب : قطع الرحمة عنهم ، وجعل مأواهم النار ، وعدم وجود الانتصار والأعوان ، من قبل أنهم أتوا بثلاثة ضروب من الإجرام : الإصرار على إنكار الدين الحق ، والاستهزاء به ، والاستغراق فى حب الدنيا ، وهذا ما عناه سبحانه بقوله :

( ذلکم بأنکم اتخذتم آيات الله هزوا وغرتکم الحياة الدنيا ) أى هذا الذى حل بكم من عذاب الله بأنكم فى الدنيا اتخذتم حجج الله وآيات كتابه التى أنزلها على رسوله سخرية تسخرون منها ، وخذعتكم زينة هذه الحياة فأثرتموها على العمل لما ينجيكم من عذابه ، ظننا منكم أنه لا حياة بعد هذه الحياة ولا بعث ولا حساب .

( فالיום لا يخرجون منها ولا هم يستعتبون ) أى فالיום لا يخرجون من النار ، ولا هم يردّون إلى الدنيا ليتوبوا ويراجعوا الإنابة مما عوقبوا عليه .

والخلاصة — إنهم لا يخرجون ولا يطلب منهم أن يزلوا عتّب ربهم عليهم أى لا يطلب منهم إرضاءه لقوات أوانه .

وبعد أن ذكر ماحوته السورة من آلائه تعالى وإحسانه ، وما اشتملت عليه من الدلائل التى فى الآفاق والأنفس . وما انطوت عنيه من البراهين الساطعة على المبدأ والمعاد — أثنى على نفسه بما هو له أهل فقال :

( فله الحمد رب السموات ورب الأرض رب العالمين ) أى فله الحمد على أياديه على خلقه ، فإياه فاحمدوا ، وله فاعبدوا ، فكل ما بكم من نعمة فهو مصدرها دون ما تعبدون من وثن أو صنم ، وهو مالك السموات السبع ، ومالك الأرضين السبع ، ومالك جميع ما فيهن .

( وله الكبرياء فى السموات والأرض ) أى وله الجلال والعظمة والسلطان فى العالم العلوى والعالم السفلى ، فكل شىء خاضع له فقير إليه دون ما سواه من الآلهة والأنداد .

وفى الحديث القدسى : « يقول الله تعالى : الكبرياء ردائى ، والعظمة إزارى ، فمن نازعنى واحدا منهما أسكنته نارى » . أخرجه أحمد ومسلم وأبو داود وابن ماجه وابن أبى شيبة عن أبى هريرة .

( وهو العزيز الحكيم ) أى وهو العزيز الذى لا يمانع ولا يقالب ، الحكيم فى أفعاله وأقواله ، تقدس ربنا جلت قدرته ، وعظمت آلاؤه .

وقصارى ذلك — له الحمد فاحمدوه ، وله الكبرياء فعظموه ، وهو العزيز الحكيم فأطيعوه .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

## خلاصة ما حوته هذه السورة الكريمة من الأغراض والمقاصد

- ( ١ ) إقامة الأدلة على وجود الخالق سبحانه .
- ( ٢ ) وعيد من كذب بآياته واستكبر عن سماعها .
- ( ٣ ) طلب العفو من المؤمنين عن زلات الكافرين .
- ( ٤ ) الامتنان على بنى إسرائيل بما آتاهم من النعم الروحية والمادية .
- ( ٥ ) أمر رسوله ألا يطيع المشركين ولا يتبع أهواءهم .
- ( ٦ ) التعجب من حال المشركين الذين أضلهم الله على علم .
- ( ٧ ) إنكار المشركين للبعث .
- ( ٨ ) ذكر أهوال العرض والحساب ، وشهادة صحائف الأعمال على الإنسان .
- ( ٩ ) حلول العذاب بالمشركين بعد أن تتبين لهم قبائح أعمالهم .
- ( ١٠ ) ثناء المولى سبحانه على نفسه وإثبات الكبرياء والعظمة له .

تم تفسير هذا الجزء ليومين بقيا من صفر من سنة خمس وستين وثلثمائة بعد  
الآلاف بمدينة حلوان من أرباض القاهرة كورة الديار المصرية .



## فَهْرَسْت

## أهم المباحث العامة التي في هذا الجزء

الصفحة	المبحث
٤	يوم القيامة مما استأثر الله سبحانه بعلمه .
٥	المنجّمون لا يجزّمون بشئ مما يقولون .
٧	منهومان لا يشبعان : طالب علم وطالب مال .
١٠	لقت أنظار المشركين إلى التدبر في الآيات قبل إنكارها .
١١	كفى بالله شهيداً على أفعال عباده وأقوالهم .
١٢	مجل ما اشتملت عليه سورة فصلت .
١٤	ما جاء في القرآن من الشرائع فهو على نهج ما جاء في الكتب السالفة من الدعوة إلى التوحيد والإيمان باليوم الآخر .
١٩	لو شاء الله لجعل الإيمان بالقسم والإلجاء فكان الناس أمة واحدة .
٢٠	نهى الرسول عن الاهتمام بإيمان المشركين .
٢٤	هذه الشريعة هي التي وصى بمثلها أكابر الأنبياء .
٢٧	نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن اتباع أهواء المشركين .
٣١	دحض حجة المشركين في الصد عن الدين .
٣٢	المشركون يستعجلون الساعة والمؤمنون مشفقون منها .
٣٥	بشر هذه الأمة بالسوء والرفعة ما لم يطلبوا الدنيا بعمل الآخرة .
٣٦	في الحديث « رأيت عمرو بن لُحَيّ بن قُعة يجر قضبه (أمعاه) في النار » .

الصفحة	المبحث
٤١	التوبة وشروط قبولها .
٤٥	فى الحديث « إن من عبادى من لا يصلحه إلا الفنى » الخ .
٤٦	مأصابكم من مصيبة فما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير .
٤٨	فى الحديث « ألا أخبركم بأفضل آية فى كتاب الله ؟ »
٤٩	الإيمان نصفه صبر ونصفه شكر .
٥٢	المؤمنون أسرم شورى بينهم .
٥٥	حوار بين عائشة رضى الله عنها وأم المؤمنين زينب .
٥٦	كل جناية على النفس أو المال تقابل بمثله قصاصا .
٥٩	حين يعرض الكفار على النار ينظرون من طرف خفى .
٦٢	ليس فى الإمكان أبدع مما كان .
٦٣	الأنبياء يكلمون ربهم على وجوه ثلاثة .
٦٦	خلاصة ما تضمنته سورة الشورى .
٦٨	القرآن مشتمل على الحكم والأسرار التى فيها سعادة البشر .
٦٩	ما بعث الله نبيا إلا استهزأ به قومه .
٧١	المشركون يعترفون بالإله ويعبدون سواه .
٧٢	دل الإله على نفسه بمصنوعاته .
٧٧	قال المشركون : الملائكة بنات الله .
٨٣	إبراهيم عليه السلام ترك دين الآباء واتبع الدليل .
٩٠	محاورة بين أبى بكر وجمع من المشركين .
٩٢	القرآن الكريم شرف للرسول وقومه .

الصفحة	المبحث
٩٤	الرسول جميعاً دعوا إلى مادعا إليه الرسول صلى الله عليه وسلم .
٩٧	تسليّة الرسول عما يلقاه من أذى قومه .
٩٨	ماحدث من فرعون وقومه بعد كشف العذاب عنهم بدعوة موسى .
٩٩	شبهة فرعون التي تمنع موسى من الرياسة .
١٠٢	حديث بين النضر بن الحرث والوليد بن المغيرة .
١٠٨	الأخلاء يتعادون يوم القيامة إلا من تخالوا على الإيمان والتقوى .
١٠٨	مايقال لأهل الجنة على سبيل البشرى .
١١٠	مايقوله أهل النار لخزنة جهنم .
١١٤	أقوال المشركين تخالف أفعالهم .
١١٧	خلاصة ما تضمنته سورة الزخرف .
١٢٣	مشى أبو سفيان إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وناشده الرحم .
١٣٤	وصف شجرة الزقوم .
١٣٥	محاورة بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي جهل .
١٤٤	كان المشركون يتخذون آيات الله هزوا .
١٥٠	ما آتاه الله لبني إسرائيل من النعم .
١٥٥	مقاله العلماء في ذم اتباع الهوى .
١٥٧	حوار بين أبي جهل والوليد بن المغيرة بشأن الرسول صلى الله عليه وسلم .
١٥٩	قال المشركون : إن هي إلا أرحام تدفع ، وأرض تبلع ، وما يهلكنا إلا الدهر .

الصفحة	المبحث
١٦٠	البعث ممكن والحكمة تقتضى حصوله والعقل يؤيده .
١٦٢	يجمع الله للكافرين ثلاثة ألوان من العذاب .
١٦٤	ما يحده المؤمنون بعد انتهاء الموقف من إكرام الله لهم .
١٦٥	ما يلقيه الكافرون من التوبيخ والعذاب الأليم والسبب فى ذلك .
١٦٨	خلاصة ما تضمنته سورة الجاثية من المقاصد .